وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الأشتر (رض)

قراءة في الأفكار والصياغة

م.د جاسم عبد الواحد راهي
مدرس في قسم اللغة العربية/ كلية العلوم الإسلامية
اختصاص في البلاغة العربية والنقد
العراق

٢٠١٤م

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين, والصّلاة والسلام على محمد المبعوث رحمةً للعالمين, وعلى آله الطيبّين الطّاهرين, والسلام على أصحابه المتّقين المخلصين .

وبعد :

فإن عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الأشتر من النصوص التشريعية والأدبية المهمة, ولاشك أن هذا النص يُعد منهلاً ثراَ ومنهجاً إنسانيا لا يتقيد بزمان ولا بمكان لما يتسم به من الشمولية, والدقة في معالجة القضايا الإنسانية, وبما يحمله من سعة في المعرفة. فهو نص أدبي يتسم بأسلوبٍ رفيع مع دقة في عرض الموضوعات والقضايا التي تضمنها. وهو بهذا الوصف قد خالف المقولة الأدبية الشائعة (أعذب الشعر أكذبه) وأنتصر لمقولة (أعذب الشعر أصدقه) والمسألة متعلقة بعناصر النص الأدبي ولاسيما الأفكار والعواطف. فإذا طغت العواطف على الأفكار في النص. مال الى المبالغة. والمبالغة خلاف الصدق وإذا طغت الأفكار على العواطف يُصبح النص جامداً خالياً من الشعرية. وهذه المعادلة لا نجد لها تطبيقاً في النص موضوع البحث فهو نص يمتلك الكثير من سمات التفرد, وهذه السمات تظهر للقارئ من عدة وجوه فهو نص متماسك السبك كأنه قالبٌ تفرغت به الأفكار. تتجدد قراءته في كل عصر ويصلح لأن يكون مثالَ يحتذى لما يتضمنه من جوانب أدبية ومعلومات دقيقة ونعتقد أن المسألة تعود إلى ما يختص به صاحب النص من خصائص وبما امتاز به من مميزات فهو كلام سيد البلغاء والمتكلمين ومن هو (كلامه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق)(١).

لقد امتاز كلام الإمام علي (عليه السلام) بسمات ومزايا خاصة, جعلته يستهوي الكثير من العلماء والباحثين, فحاولوا الخوض في كشف خصائصه الأسلوبية, وإيماناً منا بان الأسلوب هو الرجل ولكي نتعرف على الأسلوب بدقة لابد من معرفة صاحبه. لذلك حاولنا في دراستنا هذه إضاءة جانبٍ مهم من حياة الأمام علي (عليه السلام), نعتقد أن له علاقة في إنتاج النص. ولإيماننا أيضاً إن المتكلم البليغ يراعي في كلامه المتلقي فكان علينا أن نبين جانباً من حياة مالك بن الأشتر(رض), لهذا كان البحث على مبحثين: تضمن الأول منهما مهاداً معرفياً, بينا فيه محاوراً ثلاثة؛ كان الأول منها مختصاً ببيان مصطلح العهد وتميزه من غيره من الفنون النثرية كالرسالة والخطابة. وتطرقنا في المحور الثاني الى الكشف عن بعض جوانب حياة الإمام علي(عليه السلام) , وكان المحور الأخير مختصاً ببيان جانب من حياة مالك بن الأشتر(رض).

أما المبحث الثاني من البحث فقد أختص بدراسة الأفكار والصياغة وهما من أهم عناصر الأسلوب إذ إن النص الأدبي يبني من عناصر عدة تأتي في مقدمتها الأفكار والصياغة لذلك اقتصرنا عليها لإحساسنا بتلازمهما وأثرهما في فهم النص وتوضيحه بشكلٍ امثل لهذا انقسم هذا المبحث على قسمين: كان الأول منهما مختصاً بدراسة الأفكار وقد بينا من خلاله أهم القضايا والموضوعات التي تضمنها العهد وكانت كثيرة جداً. ولا احسبُ أن الموضع الذي نحن فيه موضعَ إطالةٍ, لذلك اقتصرنا على ابرز تلك الموضوعات والقضايا طمعاُ في الاختصار ولو كان الموضع موضع إطالة لأطلنا.

أما القسم الثاني فقد اقتصر على دراسة العهد من الناحية الصياغية وقد عالجنا فيه ثلاثُ مسائل. الأولى منها كان متعلقاً بالجانب اللغوي, الذي اقتصرت فيه على ظواهر لغوية بارزة كالتقديم والتأخير والخبر والإنشاء

أما المسألة الثانية فقد تناولت فيها أهم وسائل التصوير البياني فاقتصرت على التشبيه والاستعارة والكناية.

وفي نهاية البحث وقبل الخاتمة كانت المسألة الأخيرة التي عالجنا فيها مسألة الإيقاع وقد تضمن النص ظواهر صوتية بارزة أهمها الجناس والتكرار والسجع, ثم ختمت البحث بأهم النتائج. ولا يتصور القارئ الكريم أنني استوفيت ما في النص من خصائص أسلوبية ولكنني تناولت بعضها بقدر ما تتضح الفكرة ولا يطول البحث.

المبحث الأول : المهاد المعرفي

أولاً : العهد بين المعجم والاصطلاح :

العهد لغةً: الميثاق. فكل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من مواثيق فهو عهد. والعهد الوصية: يقال عَهَد إليَّ في كذا, أي: أوصاني. ومنه حديث علي (عليه السلام) عَهِدَ إليّ النبي الأمّي, أي أوصى ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [٢], يعني الوصية والأمر. والعهد: اليمين، تقول عليَّ عهدُ الله وميثاقه, ومنه قوله تعالى: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ) [٣]. وسمي ولي العهد لأنه ولي الميثاق الذي يؤاخذ على من بايع الخليفة، والعهد: الوفاء، وإنما سمي اليهود والنصارى أولي العهد: للذمة التي أعطوها, والعهدة المشترطة عليهم ولهم. والعهد: التقدم الى المرء في شيء والعهد الذي يكتب للولاة مشتق منه والجمع عهود وقد عهد إليه عهدا[٤].

ولا يخرج العهد في معناه الاصطلاحي عن بعض المعاني اللغوية فالعهد هو ما يكتبه الخلفاء والقادة والأمراء الى ولاتهم . ومن سمات العهد[٥] التي تميزه من باقي الفنون النثرية الأخرى:

١ ـ أنه يحصل من طرف واحد (كما لو عاهد شخص ما, نفسه على نصرة أخية مثلا).

٢ ـ العهد يقتضي الوفاء ويكون بشروط .

٣ ـ العهد يكون حالا من المتعاهدين وهذا ما يميزه من الميثاق الذي يكون توكيداً للعهد

وهنالك فرق بين العهد والرسالة والفنون النثرية الأخرى أهمها.

١ ـ الرسائل أطول من العهود ، وان عهد الإمام الى مالك هو أطول العهود الواردة في نهج البلاغة.

٢ ـ الفرق في الاسلوب فتكون الرسالة مبنية على تضمن فقرات قصيرة في أغلب الأحيان وخاصة في بداية نشأتها . إما العهد فيبعث قضايا وغالبا ما تطول فقراتها استيفاءً لكل مسألة .

٣ ـ العهد وصية منوطة بشروط يقتضي الوفاء بها بعكس الرسالة.فإنها قد تأخذ طابع الاحتجاج, واثبات الأحقية كما في رسائله (عليه السلام) مع معاوية. وقد تأخذ الرسالة عند الإمام علي (عليه السلام) شكل العهد من ذلك عهده إلى مالك الاشتر.

٤ ـ العهد ينفرد بشخص واحد فقط .

٥ ـ يختلف العهد عن فن الخطابة فهو مرتبط بالكتابة أما الخطابة فتكون شفوية لذلك فان نشأته كانت متأخرة عن نشأة الخطابة

ومسألة العهود معروفة في تراثنا العربي, فكان الخلفاء يعهدون إلى الولاة بتولي أمصار الخلافة, وما عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الاشتر ألا واحداً منها وكان حين ولاه مصر وأعمالها.

فبعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان ولى الإمام علي (عليه السلام) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ولاية مصر، ثم كلف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد فكانت مصر آنذاك الأرض التي تثير قلق معاوية، فما أن سيطر الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد معارك عديدة؛ تحرك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر, وكانت بوابة لتخريب حكومة الإمام علي (عليه السلام) وتهديم الدين، ثم ما لبث أن وصلت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن ابي بكر، فحزن الإمام (عليه السلام) على محمد، وعمد بتكليف مالك الاشتر(رض) بولاية مصر وكتب اليه عهده المشهور في إدارة الحكم وسياسة الناس[٦].

ثانياً : جانب من حياة الإمام علي (ع):

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٧]. ملتقيا مع الدوحة النبوية الشريفة عند جدهما عبد المطلب[٨]. وينتمي إلى قبيلة قريش الشهيرة بفصاحتها ومكانتها. فهو ابن عم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم صهره وخليفة المسلمين من (٣٥هـ ـ ٦٥٦م) إلى (٤٠هـ/٦٦١م)[٩].

ولد الإمام علي (عليه السلام) في مكة المكرمة، داخل الكعبة المحروسة[١٠].وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له؛ إذ لم يولد في بيت الله الحرام أحد سواه بعد عام الفيل بثلاثين سنة[١١]. و كانت ولادته سنة ٥٩٧م.

أتصف الإمام علي (عليه السلام) بكل الصفات الحميدة ومنها العلم, فهو تليمذ سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه واله وسلم) , الذي فتح له أبواب العلم وأشار إلى وأشار إلى علمه من خلال أحاديثه المتكررة، حيث قال: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليقتبسه من علي))[١٢]. و قال أيضاً: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه))[١٣]. وقال أيضاً: ((أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب (عليه السلام)))[١٤]. وهذه الأقوال تدلل على إن الإمام علي (عليه السلام) هو أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وكيف لا يكون أعلمهم وهو من تربى في بيت النبوة وانتهل من علومها. وفداها بنفسه عندما بات في فراش النبي ليوهم رجال قريش الذين حاصروا داره (صلى الله عليه وآله وسلم) لقتله في محاولة منهم لوأد الرسالة المحمدية [١٥].

ينسب إلى الإمام علي (عليه السلام) علم الكلام . وعدّه المعتزلة في طبقتهم الأولى[١٦]. وان أصل علم الفقه وأساسه وكل فقيه في الإسلام هو عيال عليه، ومستفيد من فقهه. أبو حنيفة، والشافعي، واحمد بن حنبل، ومالك، والعلماء الشيعة سواء في أخذهم عن جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) الذي قرأ على أبيه إلى أن ينتهي الأمر في كل ذلك إلى الإمام علي (عليه السلام) الذي علمه عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم). ومن العلوم التي عرف بها الإمام علي (عليه السلام) علم تفسير القرآن الذي أُخذ عنه. وعن ابن عباس الذي طالت ملازمته له، وانقطاعه إليه بصفته تلميذا له [١٧]، وهو يقر بأن علمه من علم ابن عمه علي(عليه السلام) كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط[١٨], ومنها علم الطريقة، والحقيقة، وأحوال التصوف حيث يصرح الشلبي ،

والجنيد ، وسري ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو محفوظ معروف الكرخي ، وغيرهم بان أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام ينتهون إليه، ويفقهون عنده[١٩]. ومنها علم النحو، والعربية الذي يقدر البعض انه أول من ابتدعه ، وأنشأه حين أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله[٢٠].

ومن الصفات التي عرف بها (ع) شجاعته التي باتت مضرب المثل حيث كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب قبالته[٢١]، ووقعة خيبر شاهد مهم على تأصل تلك الصفة ، وعمقها في نفسه[٢٢]. ومنها سخاؤه ، وجوده وايضا حلمه، وصفحه، وسماحته وأخلاقه وزهده ... وكل الأخلاق الحميدة التي اكتسبها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تولى تربيته وتنشئته وتزويجه ابنته فاطمة الزهراء(ع) في السنة الثانية من الهجرة بعد معركة بدر التي ولدت له الحسن والحسين(عليهما السلام).

شارك الأمام علي (عليه السلام) الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) كل هموم الرسالة. ومحنها ومنها حصار مكة للرسول الأكرم في شعب أبي طالب والهجرة إلى المدينة وكذلك شاركه في انتصاراتها ففي يوم فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة كان الأمام علي (ع) مشاركاً النبي في تكسير الأصنام, وأزالها من الكعبة المشرفة. ويوم الغدير بعد أن أنهى النبي (ص) حجة الوداع قبل وفاته بشهرين وعشرة أيام جمع عشرات الآلاف من الصحابة ونصب لهم علياً أميرا وإماما وخليفة بعده بأمر من الله تعالى حين نزلت الآية الشريفة : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ)) [٢٣]. ولكنه لم يتسلم الأمر بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم), حتى اضطروا إلى مبايعته بعد قتل الخليفة الثالث سنة ٣٥ هـ. فبويع الإمام علي (عليه السلام) خليفة للمسلمين ولكن بعضهم خالفه ونكث بيعته له وحاربه, فدخلت الأمة خلال خمس سنين من خلافته حروبا طاحنة أهلكت خلالها عشرات الآلاف من أخيار الأمة وفيهم بقية الصلحاء من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وعمار بن ياسر وأبي الهيثم بن التيهان ومالك بن الاشتر حتى صار(عليه السلام) يتمنى الموت بعدهم[٢٤]. وتحقق له ذلك بشهادته (عليه السلام) على أيدي غادرة مهدت لاغتياله في ساعة صلاة الصبح في مسجد الكوفة من اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة[٢٥]. حيث ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف على قرنه، فسال الدم الشريف على لحيته[٢٦]. وحُمِل الإمام إلى داخل داره ومكث فيها يوم الجمعة، ويوم السبت وتوفي يوم الأحد لأحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ . ويروي المؤرخون أن الإمام علي (ع) أمر من حوله أن يحسنوا إطعام قاتله ويكرموا مثواه، فانه إن برئ من ضربته نظر في أمره، وان مات أن يلحقوه به ولا يعتدوا لان الله لا يحب المعتدين[٢٧].

ثالثاً : جانب من حياة مالك بن الاشتر :

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن حذيمة بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر، أدرك الجاهلية[٢٨]، كان مالك فارساً شجاعاً شهماً مقداماً رئيساً، عالي النفس بعيد الهمة، شاعرا فصيحا[٢٩]، وكان من اخلص أصحاب الإمام علي (ع) ومن أشجع قواد جيشه, وهب حياته للإسلام، واخلص لدينه كأعظم ما يكون الإخلاص. وقف بحزم وإخلاص إلى جانب الإمام علي (ع) يحميه ويذب عنه في اهلك الظروف وأشدها محنة وبلاء, وقد قال الإمام علي (ع) عنه: ((لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم))) [٣٠]. وقد كان على درجة عالية من الإدارة والسياسة والحزم في إدارة دفة الأحداث . وكان مالك اشد من النار على المارقين والمنحرفين عن الحق، الذين لا يرجون لله وقارا. والتاريخ يشهد لمالك بأنه كان بطلاً مرموقاً صالحاً مؤمنًا عاقلاً, لا يقوى على مواجهته المنافقون ويخافه الفاسقون فهو الذي خافه الأشعري وأخلى له دار الإمارة في الكوفة. وهو الذي خافه طلحة والزبير وباقي الطلقاء والإعراب في المدينة [٣١].

وقد شهد مالك معركة اليرموك فذهبت عينه يومئذ، وشهد مع الإمام علي (ع) موقعة الجمل وصفين والنهروان [٣٢]. ولعل أجمل ما تركته موقعة الجمل من أراجيز للأشتر النخعي :

إني إذا ما الـــــحربُ أبدت نابها

وأغلقت يومَ الـــــــوغى أبوابها

ومزّقتْ مَن حـــــــــنقٍ ثيابَها

كنّا قدامـــــــــــــها ولا أذنابها

ليس الـــــــــعدّو دوننا أصحابَها

من هابَها الـــــــــيوم فلن أهابَها

لا طعْنهَا أخشـــــــى ولا ضِرابَها[٣٣]

وبعد واستشهاد محمد بن أبي بكر عمد الإمام بتكليف مالك الاشتر بولاية مصر وكتب إليه عهده الذي هو موضوع الدراسة. ليسير عليه في إدارتها، وهو أعظم عهد وميثاق, وقانون وتشريع لجميع حاجيات الناس عرفته البشرية على مر الدهور.

وعند ذهاب مالك إلى مصر التقى في طريقه نافع مولى عثمان بن عفان، وقد أرسله معاوية لاغتياله ومضى مالك في سفره، وعميل معاوية ملازم له حتى انتهى إلى القلزم[٣٤]. فمات بها مسموما بالعسل في شهر رجب سنة سبع وثلاثين للهجرة ولما انتهى نبأ الفاجعة, بوفاته إلى الإمام ذابت نفسه أسى وحزنا وأخذ يذرف عليه أحر الدموع قائلا: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. اللهم إني احتسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر...)) [٣٥]. ثم قال: ((رحم الله مالكا فقد وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربه، مع إنا قد وطنّا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (ص) فإنها من أعظم المصائب)) [٣٦].

وروي أن علياً (عليه السلام) نعاه إلى قومه وأثنى عليه ثناءً حسنا فصعد المنبر فخطب الناس، ثم قال: ((ألا أن مالك بن الحارث قد قضى نحبه ، وأوفى بعهده ، ولقي ربه ، فرحم الله مالكاً ، لو كان جبلاً لكان فذاً ، ولو كان حجراً لكان صلداً، لله مالك، وما مالك! وهل قامت النساء على مثل مالك! وهل موجود كمالك!)) [٣٧] .

وقد سر معاوية بمقتل الاشتر إذ قال: ((أما بعد، فانه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، فقطعت أحداهما يوم صفين – يعني عمار بن ياسر – وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الاشتر)) [٣٨].

المبحث الثاني: العهد بين الأفكار والصياغة:

النص الأدبي يتكون من عناصر معروفة اقتصرنا منها في دراستنا على الأفكار والصياغة إيمانا بأنها الأساس في عمل أي نص أدبي ولا يمكن الاستغناء عنها فقد صرنا إليهما فكان البحث على قسمين :

القسم الأول : الأفكار التي تضمنها العهد:

إن أي نصٍ أدبي يقوم على الأفكار وكيفية صياغتها, والأفكار المبثوثة في النص موضوع الدراسة كثيرة, والقضايا التي أكد عليها الإمام (ع) مهمة. تصلح أن تكون دستوراً لا يمكن الاستغناء عنه, ومن هذه الأفكار التي تضمنها النص والتي تظهر في مقدمة العهد في قوله:((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر, جباية خراجها ومجاهدة عدوها واسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلادِهَا))[٣٩], فيبدأ عهده (ع) ببيان الهدف من إقامة نظام الحكم وذلك من اجل تامين الحقوق العامة, ثم يبين أوليات نظام قيادة العالم وهي:

أ ـ تقوى الله وطاعته وذلك بإتباع ما أمر به في كتابه من فرائض وسنن.

ب ـ العزم على نصرته ونصرة دينه وعباده .

ج ـ مقاومة النفس المتمردة وكبح جماح هذا الحيوان المتوحش الذي يجر راكبه نحو هاوية السقوط [٤٠].

كل هذا يتبين من خلال قوله: ((أمره بتقوى الله وإيثار طاعته وإتباع ما أمر الله في كتابه)). ثم يبين الإمام(عليه السلام) لمالك الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم الناجح الذي يريده الله ويرضى عنه الخلق فيقول له: ((فَامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عما لا يحل لك... وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم... ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ...فأعطهم من عفوك ... ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة...)) يبين فيه إن على الحاكم أن يضع كل هذه الأمور نصب عينه ويتمثلها خير تمثيل. ثم ينتقل إلى تبيين بعض الأمور التي على الحاكم التحلي بها قبل تجهيزه قوة عسكرية من اجل التغلب على عدو خارجي وذلك من خلال تجهز قوة يتغلب بها عدوه الداخلي بالنسبة له. وهو أهواء النفس الأمارة بالسوء لان الإنسان الذي لا يتمكن من التغلب على نفسه فانه سيعجز أيضا عن مواجهة عدوه الخارجي لا محالة.وفي هذا المقام يقول: ((ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله فإنه لا يدي لك بنقمته ... فَإِنَّ الله يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ويُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ)). فانه يحذر الوالي من الكبر والفخر بعظمته وملكه وينسى عظمة الخالق وقدرته بأنه هو الذي يعطي النعم وهو الذي يسلبها، أو مساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله تعالى يعاقب الجبار بالذلة والمختال الفخور بالإهانة مدى الحياة لأنه لا يوجد شبيه لله بالعظمة والجبروت لأنه هو الله الأحد الصمد، هذا من جانب ومن جانب آخر يصور لنا خطر الغرور وإعجاب الحاكم بنفسه, الذي هو من الآفات الأخلاقية المنتشرة بالعالم والتي أسبابها الملك، والإعجاب بالنفس، والتفرعن، والأنانية، والسطوة التي تزداد نيرانها ويكثر انتشارها بالعالم بوجود الأشخاص المادحين ومتملقين لحاكم ومسؤولين؛

لذلك يوصي عليه السلام في جانب آخر من العهد بعدم مدح الحاكم بلا مبرر أي يشير هنا لمدح الكاذب [٤١] وذلك في قوله: ((وإِيَّاكَ والإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ منها وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين)). وفي جانب آخر يسلط الضوء على أهم الخصائص التي يجب أن يتحلى بها الملوك أو الحكام وهي الزهد السياسي والسبب الذي دفع الإمام إلى تسليط الضوء على هذه الخصيصة بالذات وذلك لكون مسؤولية الحكم وقيادة مجتمع مسؤولية عظيمة وصعبة وسامية بالوقت ذاته لا يتحملها أي إنسان إلا من توفرت لديه خصال وسجايا الحميدة كـ العلم، التقوى، الفضيلة، الأخلاق، الشجاعة. ويبدو ذلك واضحا في قوله: ((وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل)).

ثم يشير إلى أهمية التحلي بالسيرة الحسنة وكيفية كسب محبة الناس وذلك بالعمل الصالح [٤٢]بقوله: ((ثم اعلم يا مالك أني وجهتك ... فيما تجمع وما ترعى به رعيتك)).

ثم يسلط الضوء على قضية أساسية في بناء المجتمعات المستقرة, تتمثل بالعلاقة بين الحكومة والشعب والتي تقوم على حب الرعية واللطف بها لأنه لو غابت مثل هذه العلاقة في مجتمع ما تصبح العلاقة حينئذٍ سبباً في حصول الفوضى فالعلاقة المضطربة تولد جانباً ظالماً وآخر مظلوماً وبذلك تكون حياة الدول كالحياة السائدة في شريعة الغاب حيث تفترس الوحوش القوية الحيوانات الضعيفة، أو تسلب اللقمة من أفواهها وعند ذلك تكون حكومة دكتاتورية ، وهذا ما نلمسه بقوله: ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والإحسان إليهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فأنهم صنفان. أما أخٌ لك في الدين , وأما نظيرٌ لك في الخلقة)).

وكذلك أشار الإمام (ع) بان قضية العدل والرحمة للجميع فكلامه يدور حول الإنسانية لا حول الإسلام فقط فدائرة العدل والرحمة لا تشمل المسلم فحسب وإنما تدخل ضمنها كل الأديان والأعراف الأخرى, فالظلم مرفوض تجاه أي إنسان في كل مجتمعات العالم منذ أن خُلقت الأرض وحتى يوم تطوى به, وان الله سبحانه وتعالى يعاقب الظلمة في الدنيا والآخرة [٤٣].

ثم ينتقل(ع) إلى بيان أهمية العدل، ودوره في بناء الدولة, فالحاكم الجيد هو الذي يبني دولته على أساس العدل والعطف ومحبة الرعية, لأن ذلك يدفع الرعية إلى حبه واحترامه والدفاع عنه, وذلك في قوله:((وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلادِ وظهور مودة الرعية لأنه لا يظهر مودتهم إلا سلامة صدورهم... ثم لا تكلن جنودك إلى مغنم وزعته بينهم بل أحدث لهم مع كل مغنم بدلاً مما سواه مما أفاء الله عليهم, تستنصر بهم ويكون داعية لهم إلى العودة لنصر الله ولدينه, وأخصص أهل النجدة في أملهم إلى منتهى غاية آمالك من النصيحة بالبذل وحسن الثناء عليهم))، فهو يبين لنا أن على الوالي أو الحاكم تقدير أو مكافئة الموظفين والجنود على أعمالهم ليس لمرة واحدة فقط وإنما يشير إلى أعمالهم بكل مناسبة لان هذا يشجعهم على أن يقدموا للبشرية أفضل من ذلك, وفي الوقت نفسه يشجع الآخرين على القيام بمثل تلك الأعمال. ونيل هذا التقدير. وعلى الحاكم أن لا ينسب عمل شخص إلى آخر مهما كان، وكذلك أن لا يعطي قيمة لشخصيات بارزة في الدولة أكثر مما يستحق، أو سلب تقدير من أشخاص من عامة الناس إلى الخواص[٤٤]. ويدخل ضمن دائرة العدل قوله: ((ثم أن للملوك خاصة وبطانة

فيهم استئثار وتطاول وقلة أنصاف فأحسم مادة أولائك بقطع أسباب تلك الأشياء)) أي انه لا ينبغي للحاكم أن يكون جسراً لتحقيق المظالم وهذا ما أمر به الإمام وطبقه في العمل قبل القول[٤٥]. ويدخل ضمن دائرة العدالة الحفاظ على دماء المسلمين ((وإياك والدماء وسفكها ... يتقرب بها الى الله زلفى)). حيث بين فيه حرمة نفوس المسلمين ودمائهم، فالحفاظ على الحدود والقوانين المشرعة لتأمين حقوق المجتمع والمحافظة على حرمته واجب على كل فرد من الناس، والحكام أجدر من غيرهم بحفظ هذه الحدود والقوانين، لأنهم لو انتهكوا القوانين فسوف يمقتهم الله ويمقتهم عباده، ولا يمكنهم بعد ذلك انتظار تطبيق الآخرين لهذه القوانين فالإمام في عهده يأمر مالك بمراعاة الحدود وحفظها، والتورع عن هتك حرمات المسلمين وإراقة الدماء حتى في تلك المواقف التي تحدث فيها جريمة بغير عمد، ومما يجدر بالاهتمام أيضا هو أن الفساد وإراقة الدماء لا يزلزلان دعائم الحكم فحسب، بل ويعجلان أيضاً بانهياره وزواله وموته، وهذا ما أثبته التاريخ لنا لآلاف السنين[٤٦].

ثم بين (ع) أهمية المساواة والأخلاق الفاضلة والشعور بالمسؤولية من أجل تطبيق العدالة بين الناس، فيقول: ((وإياك والاستئثار بما للناس ... حتى تكثر همومك بذكر المعاد)). والذي نلاحظه في قوله الشريف عدة أمور هي:

أ ـ إن على الحاكم التحلي بالأخلاق الفاضلة التي بفضلها يتمكن من السيطرة على النفس وكبح أهواءها وان هذه السيطرة مصدرها إرادة الحاكم نفسه وإيمانه بالمعاد.

ب ـ لا يمكن إخفاء الحقائق لان كل من الظالم والمظلوم سيعرضان في محكمة يسودها نور الخالق الجبار ويمتثلان وجها لوجه في حضرة الخالق .

ج ـ إن الحاكم أو المسؤول يسبق الآخرين (الرعية) بالتحلي بالأخلاق والمساواة والإنصاف والأمر بالعدل لأن كل ما في المجتمع هو من مسؤوليته ، لذا يجب أن تتوافر فيه تلك الخصال لأنه قدوة لشعبه وممثل لهم أمام العالم بأجمعه[٤٧].

ثم يصور (ع) جانباً آخر مهم عند إنشاء دعائم الدولة الإسلامية وهو التأكيد على العناية الخاصة بالمساكين والضعفاء بقوله: ((ثم الله الله في الطبقة السفلى ... ما حفظ الله ما أستحفظك من حقه فيها)). فهو يؤكد على العناية بهذه الطبقة (الفقراء) المحتقرون عند الأغنياء الذين لا يعبأ ولا يفكر احد بهم، لذلك على الحاكم التفكير بشأنهم والبحث عنهم واستقصاء أخبار معيشتهم ويملأ الطمأنينة قلوبهم، وعلى المسؤول أو الحاكم توفير مؤونة هذه الطبقة وحاجاتهم المادية من بيت المال، وان لا تصرفه أمور البلاد عنهم لأنه هو المسؤول عليهم أمام الله ورسوله يوم الدين.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى التأكيد على رعاية طبقات أخرى في المجتمع الإسلامي غير الفقراء وهي طبقة محرومة أيضا من الرعاية والعطف وتأمين الحاجات, هي الأيتام الذين لا كافل لهم، والمسنون من الرجال والنساء, وذلك في قوله : ((وتعهد أهل اليتم والزمانة والرقة في السن ممن لا حيالة له, ولا ينصب للمسألة نفسه فأجرِ لهم رزقاً فإنهم عباد الله فتقرب إلى الله بتخلصهم ووضعهم مواضع في أقواتهم... فكن منهم واستعن بالله)).

ثم يبين (ع) كيفية الجمع بين الإدارة والأخلاق والسياسية, وذلك في قوله: ((وليكن ابعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك اطلبهم لعيوب الناس ... فان الساعي عاش وان تشبه بالناصحين)). فهذا النص يتضمن عدة أمور هامة وهي:

أ ـ على الحاكم محاربة أو طرد الساعين في استراق السمع وجمع الإخبار ومحاربة كل ما يشجع على نمو هذه الخصلة المشينة بين الناس وانتشارها بالعالم الإسلامي.

ب ـ واجب على الحاكم عدم إشاعة الفحشاء التي نهى عنها القرآن والرسول(ص) وأصحابه التابعين, وذلك بستر العيوب قدر الإمكان.

ج ـ ينبغي على الحاكم الحذر وتجنب الحقد والعداوة والبغضاء وحب الانتقام وقساوة القلوب, وبالمقابل إغراق قلوبهم بالمحبة والرأفة والود بالرعية.

د ـ تجنب تصديق ما يدعيه الآخرون بسرعة، لان المفسدين كثيرون فليست كل الأقوال عن حسن نية نابعة ولو كانت مصاغة بلهجة جيدة أو ناصحة[٤٨].

ثم ينتقل (ع) إلى قضية أخرى مهمة من قضايا هذا العهد وهي التشاور التي تعد من أهم خصائص قادة الجيش، وهي عبارة عن الاستعانة بعقول الآخرين ودرايتهم وتجاربهم, وهذا شيء مقبول عقلاً لدى كافة الشعوب، وهو مما أوصى به القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [٤٩]، وقوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)[٥٠]. فالشورى قاعدة أساسية تنشأ عليها الدولة نشأة صحيحة. وان الحكام يحتاجون إلى التشاور أكثر من غيرهم بسبب مسؤولياتهم الكبيرة، والإمام في النص الذي يتحدث عن مبدأ الشورى يبين لنا صفات المتشاورين بقوله: ((لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعف عليك الأمور, ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور)). وهذه الصفات يجب أن لا تتوفر في الشخص الذي تؤخذ المشورة منه, فهذه الخصال (خصلة البخل، الخوف، الحرص على الدنيا والثروة والبقاء على العرش أو كرسي السلطة) هي خصال مذمومة, وكل واحدة منهما قادرة على القضاء على المجتمعات كثيرة , فكيف يكون الحال إذا توفرت جميعها في مكان وان واحد في مجتمع من مجتمعات الإسلامية لذا يجب أن يستشار الجيد من الناس البعيد كل البعد عن هذه الخصال لأنها تنتقل عن طريق المشاورة الى الحاكم أو المسؤول ومن ثم تؤدي الى أن يحيط الظلام بقلبه وتستولي عليه كليا وتسلب منه الرأفة والمحبة والمودة تجاه الرعية وعندئذ يسود الظلم والفقر وتحل الكوارث بذلك المجتمع[٥١].

ثم يواصل كلامه الشريف ليبين لنا الوزراء الأكفاء وغير الأكفاء بقوله:((أيقن أن شر وزرائك من كان للأشرار وزيراً ومن شركهم في الآثار وقام بأمورهم في عباد الله. فلا يكونن لك بطانة تشركهم في أمانتك، كما شركوا في سلطان غيرك فأردوهم وأوردوهم مصارع السوء ولا يعجبنك شاهد ما يحضرونك به، فإنهم أعوان ألاثمة وإخوان الظلمة وعباب كل طمع ودغل، وأنت واجد منهم خبر الخلف ممن له مثل أدبهم ونفاذهم ممن قد تصفح الأمور فعرف مساويها بما جرى عليه منها، فأولئك اخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا واقل لغيرك إلفا. لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه. ولم يكن مع غيرك له سيرة أجحفت بالمسلمين والمعاهدين

فاتخذ أولئك خاصة لخلوتك وملائك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمّر الحق وأحوطهم على الضعفاء بالإنصاف واقلهم لك مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع، فإنهم يقفونك على الحق ويبصرونك ما يعود عليك نفعه والصق بأهل الورع، والصدق وذوي العقول والأحساب، ثم روضهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو وتدني من الغرة والإقرار بذلك يوجب المقت من الله)).

حيث نلاحظ في هذا النص إن الإمام (عليه السلام) يؤكد على عدة أمور منها: نزاهة المسؤولين من السوابق السيئة. وامتلاكهم الأخلاق الرفيعة المتمثلة بعدم التملق والنفاق والشعور بالعظمة وكونهم غير متورطين بالسوابق السيئة، العطوفين، الأوفياء، الذين يطلبون القليل ويعملون الكثير ويمتلكون الصراحة التامة [٥٢].

ثم ينتقل إلى جانب أخر يبين فيه وجوب تقرير الجهود والمواقف للموظفين بقوله: ((لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فان ذلك تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة فالزم كلا منهم ما ألزم نفسه أدباً منك ينفعك الله به وتنفع به أعوانك)).

فمع أن الموظفين المؤمنين لا يهدفون إلا إلى كسب رضا الله، إلا أن لتشجيع المحسنين على زيادة الخير أثراً كبيرا، إذ يشجع الآخرين على القيام بالأعمال الصالحة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالشكر على الإحسان من واجبات المرء ومسؤولياته التي لا يجوز له التقصير في أدائها، وقد ورد في الحديث: ((من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق)) فضلا عن أن عدم الاهتمام يؤدي الى عدم شعور المسيئين بالخجل من أعمالهم البذيئة فيزدادون بذلك جرأة على الإساءة[٥٣].

ثم ينتقل إلى التأكيد على حسن الظن بالرعية بقوله : ((ثم اعلم انه ليس شيء بأدعى لحسن ظن والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وقلة استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن في ذلك أمر يجتمع لك به حسن ظنك برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وأحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده)).

معنى ذلك انه لو أراد الحاكم معرفة منزلته لدى الناس فلينظر الى منزلة الناس لديه ، فلن يكون الشعب وفياً لحكومة لا يرى في أعماقها آثار الإخلاص والدفاع عنه[٥٤]. ثم يبين (ع) أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين وسننهم الصالحة والسير على تلك السنن وعدم الانحراف عنها ولاسيما عندما تكون تلك السنن مصدراً لتحقيق المحبة والألفة والسلام, وخير تلك السنن سنة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). يقول (عليه السلام): ((ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها)). وجاء في جانب آخر من هذا العهد ضمن هذا الموضوع قوله: ((وقد كانت من رسول الله (ص) سنن في المشركين ومنا بعده سنن ، قد جرت بها سنن وأمثال في الظالمين ومن توجه قبلتنا وتسمى بديننا . وقد قال الله لقوم أحب إرشادهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [٥٥]. وقال تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) [٥٦]. فالرد الى الله والأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة ، ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ونميز المتشابه منه ونعرف الناسخ مما نسخ الله ووضع أصره)).

حيث يبين أن الحفاظ على ما أمر به الكتاب والسنن من واجبات الحكومة وهما مصدرا التشريع الإسلامي، ثم انه (عليه السلام) أراد أن يرسم لنا نظام يمثل فيه الإسلام نقيا صافيا لا يشوبه شائبة وخالي من التحريف والتصرف والبدع فهو يبين أن الرجوع في قضايا الحكم والتشريع والسياسة وفي وضع الأنظمة وغيرها من الأمور المتعلقة بحياة الإنسان هو كتاب الله وسنة النبي وسيرته. بهما يتمكن الحاكم من إبعاد دولته من ظلام دامس يسوده الفساد والرذيلة والتدهور والانحلال بكل الجوانب[٥٧].

ثم يواصل كلامه ليبن لنا دور علماء الدين والحكماء, والحث على ملازمتهم والالتصاق بهم بقوله: ((وأكثر مدارسة العلماء ومثافنة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أهل بلادك وإقامة ما استقام به الناس من قبلك فان ذلك يحق الحق ويدفع الباطل)).

إن سبب اهتمامه بملازمة العلماء والحكماء وأخذ المشورة منهم لأن أحكامهم ليست أرضاء لما تشتهي أنفسهم وإنما تكون بما يرضي به الدين الإسلامي وما ينفع الرعية ويقوم المجتمع الإسلامي.

ثم ينتقل (ع) إلى تقسيم المجتمع على أصناف ويبين وظيفة كل طبقة منهم بقوله ((ثم أعلم إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة . ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها طبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه ووضع على حد فريضته في كتابه أو سنة نبيه (ص) وعهد عندنا محفوظ)).

فيبين في كلامه الشريف أن الحكومة ليست منفصلة عن الشعب فنجد في كلامه ذكرا لجميع الطبقات دون استثناء فكما ورد الحديث بشأن القوات المسلحة والمسؤولين في القضاء ذكر أيضا العمال والفلاحين والتجار والطبقات الفقيرة والمحرومة ووضعت لكل هذه الطبقات أو الفئات حقوق خاصة بها تتضافر لتكون الحياة الهانئة المستقرة، ثم يواصل كلامه (ع) ليبين لنا وظيفة كل فئة ودورها في الدولة الإسلامية وكيف أن كل فئة من هذه الفئات لا يمكن إن تستغني عن الأخرى ، كل ذلك من خلال قوله الشريف نجده واضحا فهو عندما يذكر الجيش يقول((فالجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبيل الأمن والخفض، وليس تقوم الرعية إلا بهم)). ويؤكد على ميزانية الجيش فيقول: ((ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يصلون به الى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه ويكون من وراء حاجاتهم)) أي أن هذه الميزانية المخصصة لهم تساندهم في جهاد عدوهم لحماية بلادهم وأهلها.

ثم يذكر فئةً أخرى مهمة تكمل الفئتين السابقتين وهي القضاء والموظفين فيقول: ((ثم لإبقاء لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لمن يحكمون من الأمور ويظهرون من الإنصاف ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها)). ثم يبين أهمية الفئات الأخرى كالتجار والكسبة وأهمية هاتين

الفئتين فيقول: ((ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجمعون من مرافقهم، ويقيمون من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم)). ثم تأتي طبقة الفقراء ومساكين (الطبقة المستضعفة) ويبين حاجة هذه الفئة فيقول: ((ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم وفي فيء الله لكل سعة ولكلٍ على الوالي حق بقدر يصلحه)).

ثم يصور لنا خصائص أو صفات قائد الجيش وهي :

أ ـ التعبد والتسليم، وان يكون نصوحاً حليماً طاهراً رؤوفاً قوياً، كل ذلك في قوله : ((فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك واتقاهم جيبا وأفضلهم حلماً واجمعهم علماً وسياسة ممن يبطئ عن الغضب ويسرع الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف)).

ب ـ الأصالة والسابقة الحسنة والكفاءة والشجاعة والأخلاق: ((ثم الصق بذوي الاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة. ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف)).

ج ـ تفقد المجاهدين : ((ثم تفقد أمورهم بما يتفقد الوالد من ولده ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به. ولا تحقرن لطفا تعاهدتم به وان قل، فانه داعية لهم الى بذل النصيحة وحسن الظن بك ، فلا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه)).

ومن الصفات التي يتميز بها القائد في الجيش الإسلامي من غيره من القادة العسكريين, اسلوبه في التعامل مع الجند الذين هم خدام الأمة ، فيتفقد أحوالهم ويعاملهم معاملة الوالد لولده فيشملهم بلطفه وحنانه .

د ـ المحبة والرأفة بالجند : ((وليكن آثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم في بذله ممن يسعهم ويسع من ورائهم من الخلوف من أهلهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو . ثم واتر إعلامهم ذات نفسك في إيثارهم والتكرمة لهم والأرصاد بالتوسعة . وحقق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك)).

ويواصل كلامه الشريف ليؤكد على ضرورة الاهتمام بعوائل الشهداء، الذين قدموا أرواحهم في سبيل الدفاع عن الدين والحفاظ على سلامة البلاد وإرواء سكان تلك البلاد ولذلك فان اقل واجب يقدمه الحاكم لهم تقديراً لتضحياتهم هي العناية والاهتمام بعوائلهم : ((وان استشهد احد من جنودك وأهل النكاية في عدوك فأخلفه في عياله بما يخلف به الوصي الشفيق الموثق به حتى لا يرى عليهم اثر فقده ، فان ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك ويستشعرون به طاعتك ، ويسلسلون لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك).

ثم يواصل كلامه ليبين لنا شروط اختيار القضاة وخصائصهم : ((فاختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في إثبات الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم

في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصوم وأصبرهم على تكشف الأمور واصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء ولا يصغي للتبليغ . فول قضاءك من كان كذلك وهم قليل).

ثم يؤكد على مراقبة القضاة وتلبية حاجاتهم: ((ثم أكثر تعهد قضائه وافتح له في البذل ما يزيح علته ويستعين به وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمح فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال إياه عندك. وأحسن توقيره في صحبتك وقربه في مجلسك وامض قضاءه وأنفذ حكمه واشدد عضده واجعل أعوانه خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله، فيناظرهم فيما شبه عليه ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه ويكونون شهداء على قضائه بين الناس إن شاء الله)) .

فالإمام (ع) يؤكد على متابعة الحاكم للقضاة ولا يعتمد على ثقته وينصرف عن مراقبتهم, بل عليه أن يكون على اتصال مباشر معهم ويراقب أحكامهم ويصحح أخطاؤهم, ويراقب أعمالهم. في المقابل يجب على الحاكم تلبية حاجات القضاة المادية والمعيشية, للحصول على الحكم الصحيح لأن القاضي أذا كان محتاجاً قد يتأثر بالمغريات المادية ويتقبل الرشوة. من أجل تغيير الحكم, وهذا يعود بالضرر ليس على القاضي وحده بل على المجتمع عامة.

ثم يواصل الإمام(عليه السلام) بيانه قواعد اختيار مسؤولي الدولة لإدارة الأمور فيقول: ((ثم انظر إلى أمور عمالك واستعملهم اختباراً ولا تولهم أمورك محاباة وأثرة, فان المحاباة والأثرة جماع الجور والخيانة وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح الأمور بالأدغال فاصطفِ لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام . فإنهم أكرم أخلاقا واصح أعراضا واقل في المطامع إشرافا وابلغ في عواقب الأمور نظرا من غيرهم)).

ثم يبين (ع) إن على الحاكم أو مسؤول الاهتمام بمعيشة عمال وموظفي الدولة الذين تم اختيارهم وانتخابهم: ((ثم أسبغ عليهم في العمالات ووسع عليهم في الأرزاق فان في ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء، فان تعهدك في السر أمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها إخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذه بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة فوسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة)) [٥٨]. وفي هذا النص تذكيرٌ بالمسؤولية التي يتحملها بقية المسؤولين في مراقبة الموظفين وسلوكهم ،وتعهد أمورهم ومتابعة أخبارهم وقد أشار الإمام (عليه السلام) في هذا النص إلى عدة أمور هي :

أ ـ إن على الحاكم الذكي إن يشرف على إعمال عماله وموظفيه بشكل مباشر أو غير مباشر بإرسال العيون المؤتمنة والصادقة والوفية لحمل الإخبار إليه.

ب ـ على الحاكم أن لا يجعل الثقة هي الأساس بالأشراف على أعمال موظفيه, لان كثيراً من موظفي الدولة قد يمدوا يد الخيانة والغدر ودس المكائد لإسقاط الدولة والعمل على انهيارها.

ج ـ عليه معاقبة الخائن أولا بسلبه وظيفته التي ائتمن عليها ومعاقبة أيضا بالبدن ومن توسمه وسام الخيانة والغدر وتقليده عار التهمة الى الأبد .

ونجد أيضا في عهده إلى مالك الاشتر إشارة إلى مسألة الضرائب (الخراج) ومسائل زراعة البلاد والعمران والغنائم والطريق الصحيح الذي على المسؤولين إتباعه في إدارة البلاد ((وتفقد ما يصلح أهل الخراج فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، فليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج فان الجلب لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم له أمره إلا قليلا .... فان العمران محتمل وإنما يؤتى خراب الأرض لا عواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإسراف الولاة وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر)).

فالضرائب هي غير الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس وغيرها فهي عبارة عن مجموعة من أموال مفروضة على الناس تؤخذ وتصرف وفقا لما تراه الدولة، فهي ضرورية لإدارة المجتمع وعمرانه، وفرض الضرائب يجب أن يتم وفقا لما يلائم حاجة البلاد وقدرة الناس, ومثلما إن هذه الأموال تؤخذ من الناس من اجل إدارة المجتمع وعمران البلاد وزراعته كذلك فإن بيت المال والعائدات العامة هي ليست ملكا لرجال الدولة وليس لهم أي حق بالأخذ منها من اجل تزين قصورهم أو يضيفوها إلى أموالهم فهي ملكٌ للشعب[٥٩].

ثم يبين لنا (عليه السلام) مسؤولية الحكومة تجاه التجار وأصحاب الحرف بقوله : ((ثم التجار وذوي الصناعات فاستوص وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق بيده فإنهم مواد للمنافع وجلابها في البلاد في برّك وبحرك وسهلك وجبلك)). ثم يبين أيضا مسؤولية الحكومة تجاه الطبقة المحرومة في المجتمع، فيشير إلى أنواع الضعف والانحراف الذي يصيب هذه الفئة فيقول: ((فتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع الاحتكار فان رسول الله(ص) نهى عنه وليكن البيع والشراء سمحاً بموازين عدل, وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك, فنكل وعاقب في غير إسراف . فان رسول الله (ص) فعل ذلك)) [٦٠].

ثم يواصل كلامه (ع) فيقول : ((واجعل ذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وذهنك من كل شغل، ثم تأذن لهم عليك وتجلس لهم مجلسا تتواضع فيه لله الذي رفعك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك تخفض لهم في تجلسك ذلك جناحين وتلين لهم كنفك في مراجعتك ووجهك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول في غير موطن : ((لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع)). ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونحِّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب أهل طاعته ، فأعط ما أعطيت هنيئا ، وامنع في إجمال وأعذار وتواضع هناك فان الله يحب المتواضعين)). فهو (ع) في قوله هذا يبين لنا أمران مهمان هما:

أ ـ إن حراس الحاكم أو الحجاب, كثيراً ما يحجبون الناس الذين لديهم مشاكل كثيرة ويمنعوهم عن الوصول إلى الوالي أو الحاكم وعرضها عليه، وبعضهم وان وصل الى الوالي أو الحاكم أو المسؤولين منعه الخوف من

الحارس أو الحاجب من الكلام أمام الوالي لذلك فالواجب على الوالي أن يأمر الحراس بان يدخلوا أصحاب المشاكل عليه وان يسمعهم بعيدا عن الحراس أو الحجّاب, لكي يتمكنوا من الكلام من دون خوف لان الوالي هو الراعي وهو المسؤول عن رعيته أمام الله ورسوله (ص) كما يقول رسول الله في حديثه الشريف: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).

ب ـ إن بعض أصحاب المشاكل من كثرة معاناته وآلامه قد يتكلم بخشونة أمام الوالي, في حين البعض الآخر من الخجل والخوف قد يتلعثم إمامه لذلك يوصيه الإمام (ع) بان يكون صاحب حلم وان لا يجعل الغضب إمام عينه, لان ذلك ينمي الحرية لدى الشعب ويعطيه القوة للدفاع عن حقوقه أمام الشخصيات الكبيرة بالدولة وفي الوقت نفسه يكسب رضا الخالق والمخلوق, ومحبة كليهما.

ثم يواصل كلامه فيقول: ((ثم إن أموراً من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك ما يعيا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس في قصصهم، ومنها معرفة ما يصل إلى الكتّاب والخزّان مما تحت أيديهم، فلا تتوانَ فيما هنالك ولا تغتنم تأخيره واجعل لكل أمر منها من يناظر فيه ولاته بتفريغ لقلبك وهمك ، فكلما أمضيت أمراً فأمضه بعد التروية ومراجعة نفسك ومشاورة ولي ذلك، بغير احتشام ولا رأي يكسب به عليك نقيضه. ثم امض لكل يوم عمله ، فان لكل يوم ما فيه)).

فالأمام (ع) يذكر لنا صنفين مهمين من الإفراد يجب على الحاكم مواجهتها بنفسه لا أن يوكل أمرهما الى الأعوان وسماع مشاكلهما من ألسنتهم لا من السنة الآخرين وهما :

أ ـ الولاة والقضاة وموظفي أو عمال الدولة في كل إرجاء البلاد الذين يعرفون كل الأوضاع السائدة في البلاد ومن ثم يطلعون الوالي أو حاكم البلاد بتلك الأخبار في حين قد تكون تلك الأخبار قد وصلت اليه من قبل الأعوان وحاشية البلاط القريبين من الوالي وقد يتخلل تلك الأخبار التحريف أو تبديل بزيادة أو نقصان لذلك على الوالي أن يأمر حراسه أو وزراءه بالسماح لعماله أو الولاة من نقل الإخبار له وسماعها منهم مباشرةً ومن دون ناقل أو واسطة بينهم.

ب ـ والصنف الآخر هو الرعية أي الشعب، فعلى الحاكم أن يخصص وقتاً لسماع مشاكل الرعية بشكل مباشر وان يسعى كل سعي من اجل حلها لكي يكسب محبة واحترام وثقة شعبه, وان يأمر الحرّاس أو الحجّاب بإدخالهم عليه وعدم حجبهم عنه أو وضع الوسطاء بينهم وبين الناس فيزوّروا الوقائع والحقائق.

ثم يواصل كلامه ليبين لنا أن هنالك أفراداً مقربين من الوالي أو الحاكم ممن يعرفون بالأعوان المقربين الذين ينون الإطاحة بالوالي وإسقاطه, في حين أن هنالك عيون وفيّة ترى أولئك الخونة فعلى أولئك إخبار الوالي بالخائنين لأجل إخماد النار قبل اشتعالها كل ذلك لكي يجعل الحاكم أو مسؤول الدولة في حيطة وحذر بشكل دائم. فيقول: ((وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك إخبار عيونك، واكتفت بذلك شاهدا)).

ثم خصه (ع) على أداء الفرائض التي فرضها الله تعالى على الإنسان وأداء تلك الفرائض في أوقاتها، كما انه يحضنا على أداء نافلة الليل، ويوصي(ع) أن يراعي ظروف اضعف الناس وما فيهم من العلل أو الشيخوخة ويؤكد قوله بقول سيد الكائنات (ص) حيث وجهه الى اليمن وسأله كيف يصلي بهم؟ قال: صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما.

فالإمام هو معصوم ويعرف تلك الأمور وليس بحاجة الى سؤال سيد الأكوان عن كيفية الصلاة بالناس ولكنه بسؤاله هذا أراد أن يلفت الأذهان إلى هذا الأمر ويبين أهميته, ولكي يوفر الجواب لمن أراد السؤال ولكنه خشي أو خجل من سؤال كل ذلك في قوله: ((واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام ، وان كانت كلها لله إذا صحت فيها النية وسلمت منها الرعية. وليكن في خاص ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجب، فان الله جعل النافلة لنبيه خاصة دون خلقه فقال: ((وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً))[٦١]، فذلك أمر اختص الله به نبيه وأكرمه به. ليس لأحد سواه وهو لمن سواه تطوع فانه يقول : ((وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)) [٦٢]فوفر ما تقربت به الى الله وكرمه واد فرائضه الى الله كاملا غير مثلوب ولا منقوص بالغا ذلك من بدنك ما بلغ . فإذا قمت في صلاتك فلا تطولن ولا تكونن منفرا ولا مضيعا، فان في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حين وجهني إلى اليمن: كيف نصلي بهم؟ فقال: (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما)[٦٣].))

وجاء أيضا في عهده (ع) الى مالك الاشتر حول بيان آثار احتجاب المسؤولين أو الحكام عن الناس لعرض مشاكلهم ومحاولة حلها، بقوله : ((وبعد هذا فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك . فإن احتجاب الولاة عن الرعية, شعبةٌ من الضيق قلة علم بالأمور. والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه, فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على القول سمات يعرف بها الصدق من الكذب، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب فإنما أنت أحد رجلين: أما امرءٌ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك؟ ومن واجب حق تعطيه؟ أو خلق كريم تسديه؟ وأما مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من ذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مالا مؤونة عليك فيه من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف فانتفع بما وصفت لك واقتصر فيه على حظك ورشدك إن شاء الله)).

وذلك لان الاحتجاب هو سبب لاضطراب وانهيار كثير من الحكومات وذلك لوجود سور منيع بين حاكم والرعية الذي يمنع وصول أصوات الرعية وأنينهم وشكواهم الى الحاكم وهذا السور يدعى الحاجب أو البطانة الذين يحيطون بالحاكم مثلما يحيط ظلام الليل بالأرض أو مثلما تحيط الشرنقة بدودة القز ويفرقون الحاكم بكلام معسول وأعمال لم تنجز, وأشياء غير موجودة, وبدلا من نقل الآم الناس اليه ومشاكلهم اليه ينقلون كلام ملفق وكاذب حول محبة الشعب له واحترامهم اليه ... فهنا يوصي الإمام (ع) هؤلاء الحكام بالخروج من تلك الشرنقة المظلمة وان

يسير بين الرعية ويسمعوا مشاكلهم وآلامهم ويحاولوا حلها وان عجزوا عن حل تلك المشاكل فلا يقصروا من الإصغاء إلى آلام وهموم الرعية, فهذا يقلل من أزماتهم النفسية ويخلق الأمل في نفوسهم [٦٤].

ثم يواصل كلامه ويبين لنا أن العلاقة الجيدة بين الحاكم والرعية هي أن تسودها حسن النية وليس سوء الظن فإذا كان هنالك قضية غامضة وغير مفهومة لدى الرعية لدرجة تخلق فيهم سوء الفهم بالمسؤولين فعلى المسؤول أو الحاكم أن يخرج للناس بشكل مباشر أو غير مباشر ويزيل سوء الفهم الذي يحيط بالرعية, فربما قد تنفجر الرعية عليه ويقوموا بإسقاط حكومة أو التمرد عليه وعصيانه وعندئذ تدخل البلاد في مشكلات لا حصر لها وأزمات لا منجي منها.

كل ذلك في قوله : ((وان ظنت الرعية بك حيفا فاجهر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك, فان تلك رياضة منك لنفسك ورفق منك برعيتك وأعذار تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق في خفض وإجمال)). ثم ينقل لنا شروط سياسة السلام مع العدو وأبعادها الأخلاقية على النحو الآتي : ((لا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك فيه رضى فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح ، فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم وتحصن كل مخوف تؤتى منه. وبالله الثقة في جميع الأمور . وان لجت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بها صلحا أو ألبسته منك ذمة فخط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دونه، فانه ليس شيء من فرائض الله جل وعز الناس اشد عليه اجتماعا في تفريق أهوائهم وتشتيت أديانهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من الغدر والختر فلا تغدرن بذمتك ولا تخفر بعهدك ولا تختلن عدوك، فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون به الى حواره، فلا خداع ولا مدالسة ولا دغال فيه .

فلا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله على طلب انفساخه فان صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله طلبة ، ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك)). ويتبين من خلال هذا النص عدة أمور هي :

أ ـ إن السلام الذي يدعو اليه الإمام علي (ع) هو السلام الذي يحظى برضى الله وطاعته وعدم رفض مثل هذا السلام لان فيه مصلحة الرعية بشكل خاص والمجتمع المسلم بشكل عام.

ب ـ إن على الحاكم المسلم والمؤمن أن يستخدم فطنته (ذكاؤه) في إقرار السلام وان لا يعطي مجالاً للعدو باستخدام الحيلة والمكر لمواجهة الحق.

ج ـ ويؤكد الإمام(ع) أيضا على الوفاء بالعهود, لان الوفاء بالعهد من صفات المؤمن, فعلى المتعاهد أن يوفي بالشروط التي يتضمنها عهد السلام وأن يلتزم بها, وان التزام الدولة بتلك البنود أو المواثيق يكسب الدولة احترام الآخرين وثقتهم بها ويدفعهم إلى اللجوء إلى السلام معها, ومن ثم عدم سفك الدماء بالعالم الإسلامي .

د ـ عدم اللجوء إلى المكر والخديعة مع العدو لنقض العهود لان ذلك ليس من شيم الحاكم المسلم بشكل عام والعربي بشكل خاص ومن ثم فانه يؤدي الى أن يفقد محبة الله له, لان الله تعالى يكره كل مكار ومحتال من جهة ويفقد ثقة الرعية والآخرين من جهة أخرى .

هـ ـ ويوصي (ع) بان تكتب بنود العهد بالخط الواضح والعبارات الصريحة بحيث تكون مفهومة للجميع ولكلا الطرفين أولا, ومن ثم لا يلجأ احدهما بنقض العهد والهرب منه لسبب انه غير واضح أو غير مفهوم.

ثم يبين لنا صورة أخرى أو يصور آفة أخرى تحيط بالمجتمع, وهي من المسؤولين على الرعية إذا ما عملوا عملا لهم أو أن يعطي الوالي أو حاكم عهود كاذبة لشعب تخلوا من المصداقية وهذان الأمران تفقد الوالي ثقة الشعب به وربما يتطور الأمر بان يتمرد الشعب عليه ويحاول التخلص منه, والحكومات التي تعاني من نزاعات داخلية أي هي حكومات ضعيفة من الداخل تصبح لقمة سهلة المضغ للحكومات القوية ، وذلك بقوله : ((إياك والمن على رعيتك بإحسان أو التزيد فيما كان من فعلك أو تعدهم فتتبع موعدك بخلفك أو التسرع الى الرعية بلسانك : فان المن يبطل الإحسان والخلف يوجب المقت . وقد قال الله جل ثناؤه :(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ))).

ثم يشير إلى أهمية الزمان والمكان الذين تحيطان بقضية أو بأمر معين يحاول الوالي أو الحاكم القيام به, فانه إذا أراد قيام بشيء فعليه عدم العجلة لان العجلة تورث النقمة والندم, ويراعي مواقف مهمة قبل القيام بذلك الأمر, وهي زمان ومكان وظروف أخرى تحيط بها أي أن يتحلى بالصبر والأناة فيما يريد أن يصل إليه ويريد تحقيقه ويبارك الله له فيه فيقول:((إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها واللجاجة فيها إذا تنكرت والوهن فيها إذا أوضحت ، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه)).

ثم يواصل كلامه بتأكيد على تذكير الوالي دوما بالمعاد إلى الله (عز وجل)، ثم ينقل لنا تأكيد النبي (ص) على الصلاة التي هي عمود الدين، والزكاة وهي حق الفقراء في أموالنا بقوله: ((وقد كان مما عهد إلي رسول الله (ص) في وصايته تحضيضا على الصلاة والزكاة وما ملكت إيمانكم . فبذلك اختم لك ما عهدت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)).

ثم يختم كلامه الشريف بذكر عظمة الخالق وقدرته وكثرة نعمه علينا وشكره على جميل نعمه وإحسانه.((وأنا أسال الله سعة رحمته وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه)).

القسم الثاني : الجانب الصياغي في العهد:

لا يخفى على الباحث العليم أن الدرس البلاغي يقوم على عدة مستويات تتنوع بين المستوى المعجمي والتركيبي والتصويري والصوتي والبنائي وسنقتصر على المستوى اللغوي، والتصويري، والصوتي في هذا القسم من بحثنا. وذلك لتميز هذه المستويات وأهميتها في الدراسة البلاغية, فضلاً عن توافرها في هذا النص موضوع البحث.

أولا : المستوى التركيبي:

يتركب الكلام في العربية من ركنين هما(المسند والمسند إليه) أو المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل في اصطلاح النحويين, والكلام المستقيم هو الكلام المبني على هذين الركنين وإذا ما حذف أحدهما فأنهم يلجأون إلى تقديره , وقد تأتي الجملة العربية على أحوال مختلفة لتحقيق الأغراض المطلوبة والمعاني المرادة.

١ ـ **التقديم والتأخير**: التقديم من قدّم الشيء: أي وضعه إمام غيره والتأخير نقيض ذلك, قال الزركشي عن التقديم والتأخير ((هو احد أساليب البلاغة, فأنهم أتو به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم, وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)) [٦٥]. وعدّه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) باباً ((طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة)) [٦٦] .

تخضع الجملة في العربية إلى نظام خاص مألوف، ومن ثم فان تغير هذا النظام يعد انزياحا عن القاعدة المألوفة أو عن الأصل في تركيب الجملة من خلال تقديم ركن من أركانها وتأخير الآخر؛ وبحسب قصد المتكلم ((لان العرب كانوا يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى)) [٦٧].

يحتل التقديم والتأخير بوصفه ظاهرة أسلوبية مكانة متميزة في سلم الاهتمام لدى البلاغيين وتبرز أهميته لكونه بؤرة أساسية في الأسلوبية التركيبية. وإذا كان للجملة في العربية نظام مثالي في ترتيبها فأنّ هذا النظام ليس مقدسا لا يجوز المساس به فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصراً أو يؤخر آخر، والتقديم والتأخير في الجملة العربية من المباحث المهمة التي حظيت بعناية كبيرة من قبل النحاة والبلاغيين فهو يمنح للأديب حرية التصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها ، فتأتي اللغة لمستعملها طيعة مرنة بين يديه بتقدم لفظ من حقه التأخير أو العكس ولكن بحسب نظام محدد أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني (توخي معاني النحو) ويكون هذا التقديم لأغراض بلاغية متعددة جميعها تحقق جانباً إضافياً على تحقيق الغرض بدقة وهذا الجانب يتمثل بتحريك مشاعر المتلقي وجذبه إلى النص وبذلك يندفع الملل والسأم عنه، وإن غلب الذوق الجمالي القائم على التحليل اللغوي على تحليلات البلاغيين لها [٦٨].

وان هذا اللون البلاغي له حضور كبير ومتميز في عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الاشتر. ومثاله قوله (ع): ((وتواضع لله يرفعك الله، واخفض جناحك للضعفاء، وأربهم الى ذلك منك حاجة, وتفقد من أمورهم ما لايصل إليك منهم وتفقد من أمورهم ما لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع, فليرفع إليك أمورهم)).

فالملاحظ أن الإمام قدم (إلى) وهو حرف يفيد انتهاء الغاية على (من) وهو حرف يفيد ابتداء الغاية لتأدية المعنى المطلوب من النص . لأن الغرض الأساس هو الدعوة إلى تحقيق التواضع لما فيه من نتيجة سامية فالاهتمام بهذا المبدأ والعناية به تحقق من خلال هذا الأسلوب. وكذلك قدم الجار والمجرور (لأولئك) على المفعول به (ثقتك) وكذلك الحال في قوله ((فليرفع إليك أمورهم)). وهذا الأسلوب في كلام الإمام (ع) يعطي قوةً وتأكيداً على دور الحاكم وتوليه مسؤوليته تجاه الرعية.

ومن التقديم في النص السابق قول الإمام:(وتفقد من أمورهم ما لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال) ففيه تقديم المفعول به على الفاعل. في قوله(تقتحمه العيون وتحقره الرجال), وذلك لأهمية المفعول به والعناية به. لأنه محور الفكرة التي على الحاكم مراعاتها.

ومثال آخر للتقديم والتأخير في عهد الإمام (عليه السلام) قوله: ((إنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء: أهل العامة من الأمة, فليكن لهم صفوك)) ففيه تقديم المسند على المسند إليه لأهمية المسند وخصوصيته.

٢ ـ الخبر والإنشاء :

لابد في دراستنا الفنية لعهد الإمام (ع) من الوقوف عند أنواع الجمل ، وهي إما خبرا فتخبرنا عن معنى معين وتصفه لنا والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ولكن الخبر يقسم على قسمين فهناك أخبارٌ واجبة الصدق وهي أخبار الله (سبحانه وتعالى) وأخبار أنبيائه ورسله والأئمة المعصومين (عليهم السلام). وهناك أخبار واجبة الكذب. وهي أخبار المدعين للنبوة والمشعوذين والمنجمين. جاء في قوله (ص): (كذب المنجمون ولو صدقوا). والجمل الخبرية في عهد الإمام علي (ع) واجبة التصديق لأنها من كلام المعصوم (عليه السلام).

وقد تكون الجمل إنشائية أي تنشئ المعنى ابتداء وتطلب حدوثه[٦٩].وبهذا تكون لغتنا العربية قد وضعت أمام مستخدميها نوعين مهمين من الجمل هما الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، إذ إن كلام الجملة الخبرية يتحمل الصدق والكذب لذاته بغض النظر عن قائلها بينما كلام الجملة الإنشائية هو الذي لا يتحمل الصدق والكذب لذاته.

وبذلك نلحظ أن عهد الإمام (ع) لمالك قد اشتمل على نوعين من الجمل، ولكن سنقدم الخبر على الإنشاء لان الخبر شغل حيزا واسعا في عهد الإمام (ع)، من ذلك قوله: ((فاعمل فيما وليت عمل من يجب ان يدخر حسن الثناء من الرعية والمثوبة من الله والرضا من الإمام)).

فانه أراد بقوله هذا أن يخبر عن الثمن الذي يحصل عليه الوالي من وراء قيامه لواجبه على أحسن وجه، حيث جاء الخبر هنا ليقوم المعهود إليه بواجبه وهو الثناء على الرعية الذين يخلصون في أعمالهم وعن نتيجة هذا العمل, ومثاله أيضا في ذكره لقوله تعالى: ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً))[٧٠]. نلحظ أن الإمام (عليه السلام) قد ضمن قول الباري (عز وجل) بعهده لما يحمله من تحذير من عاقبة قتل المظلوم بغير حق.

أما بالنسبة للإنشاء فانه ينقسم إلى فرعين هما الإنشاء الطلبي وهو (ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب)) [٧١]، والإنشاء غير الطلبي هو (ما لا يستدعي مطلوبا وقت الطلب) [٧٢].

والجملة الإنشائية لا تقل قيمة عن الجملة الخبرية إذ هي الأخرى تحتل مساحة متميزة في عهد الإمام علي ولكن الإنشاء الطلبي له خصوصية في العهود كونه ((الوظيفة الإبلاغية الأولى التي تؤديها اللغة حيث انه يعبر عن الرغبة في التعاون المشترك بين الناس)) [٧٣]. لذا سنسلط الضوء على أهم أساليب وأغراض الإنشاء الطلبي:

أ ـ الأمر :

يعرف الأمر بأنه ((هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام)) [٧٤]. ويؤدي الأمر في العربية بصيغ أربع هي :

(١) فعل الأمر : نحو قوله (ع): ((فسر في عدوك بمثل ما شاهدت منا)).

(٢) المضارع المجزوم بلام الأمر: نحو قوله(ع): ((وليكن آثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته)).

(٣) اسم فعل الأمر : نحو قوله (ع): ((عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا، لا تنصبن نفسك لحرب الله؛ فإنه لايدَلك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)).

(٤) المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو قوله (ع): ((وتفقد ما يصلح أهل الخراج ؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم)).

وقد وظف الإمام علي (ع) أسلوب الأمر بنوعية الحقيقي والمجازي في عهده لمالك؛ ((إذ إن المسؤولية الملقاة على عاتقه والمنوطة به تتطلب إصدار أوامر مختلفة)) [٧٥].

ففي قوله: ((عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا ...))، فالأمر هنا جاء حقيقيا لأنه صادر من الأعلى الى الأدنى (الناس عامة).

أما قوله (ع) : ((فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فان الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أصبت أو كرهت)).

فالأمر مجازي لا إلزام فيه وإنما هو على سبيل النصح والإرشاد .لان الكلام ليس لشخص محدد وإنما لكل سامع حيثما وجد وكان حاملا دلالة النصح والإرشاد ؛ لأن ((مشاعر الرضا ليست مسألة جمالية فحسب، بل هي قيمة أخلاقية تكسب الضمير مبادئ سليمة)) [٧٦].

ب ـ النهي :

هو الأخر الذي يُعد أسلوبا من أساليب الإنشاء الطلبي ويعرف بأنه ((طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام)) [٧٧], فهو يتفق مع الأمر من وجهة الاستعلاء والإلزام وارتباطه بالمخاطب ويختلف عنه بالصيغة فالنهي صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المسبوق بـ (لا الناهية) بينما تتعدد صيغ الأمر[٧٨], ومثاله قوله : ((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا)) جاء النهي هنا ليؤدي غرضا مجازيا وهو النصح والإرشاد من عدم إدخال البخيل في مشورة تخص الدولة الإسلامية وأمنها واقتصادها ... ومن ذلك أيضاً قوله: ((ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله فَإِنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ولا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ ولا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ولا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ولا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ)) حمل النهي غرض النصح والإرشاد .

ومثاله قوله: ((ولا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ والْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ)) .فجاء النهي لغرض النصح والإرشاد أيضاً .

ج ـ الاستفهام :

ويعرف بأنه طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، ((والاستفهام حقيقة يقصد الى طلب الفهم لأنك عندما تسأل المخاطب عما لا تعلمه فتقول: من رأيت؟ فانك تريد جوابا لسؤالك)) [٧٩].

وبهذا يكون الاستفهام واحدا من أساليب الإنشاء الطلبي التي أوردها الإمام علي (ع) في عهده لمالك(رض). ويقسم الاستفهام على نوعين حقيقي ومجازي؛ فالنوع الأول قليل الورود قياسا بالاستفهام المجازي. فمما ورد من الاستفهام الحقيقي قوله(ع): ((وقد سألت رسول الله (ص) حين وجهني إلى اليمن: كيف نصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما)).

فالاستفهام هنا جاء حقيقا لطلب الفهم، بأداة الاستفهام (كيف) التي : ويستفهم بها عن الحال, فلم تخرج في قول الإمام علي السابق عن معناها الحقيقي, والمتمعن في سؤال الإمام علي (ع) لرسول الله (ص) يقف عند قوله (ع) (نصلي) فلم يقل (أصلي) فالأمام (ع)لا يطلب الفهم لنفسه وإنما يريد به تفهيم المخاطب.

د ـ النداء :

هو من الأساليب الإنشائية التي وظّفها الإمام علي (ع) في عهد لمالك, لأنه ينبه المخاطب على الإصغاء الى ما يأتي بعده من كلام فانك عندما تنادي على شخص فانك تطلب منه الإقبال عليك وحينما يقبل المنادى عليك فانك تسيطر على سمعة وبالتالي تعمل على أن تلقي عليه ما تريد من خبر أو أمر أو نهي أو غير ذلك. ومن ذلك يمكن القول أن النداء هو ((طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر الى الإنشاء)) [٨٠].

ومثاله قوله : ((يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وجَوْرٍ)). خرج النداء هنا لغرض التذكير، فضلا عن تشجيع المخاطب للقيام بالعدل ويحمل أيضا التنبيه وبيان عاقبة الظالم المتسلط .

ومثاله قوله مستشهداً بقوله تعالى: ((وقد قال الله لقوم أحب إرشادهم : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) [٨١].النداء هنا خرج لغرض النصح والإرشاد الى طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منهم لان الطاعة من دعائم الإيمان الإنساني التي تؤدي إلى العيش الصالح بالدنيا والفوز بالجنة بالآخرة .

ثانيا : المستوى التصويري :

تعد الصورة الشعرية من أهم خصائص التشكيل الفني في الأدب العربي فهي جوهر الأداء الشعري الرفيع بوصفها ((عنصرا مهما من عناصر بناء القصيدة من حيث هي تركيب أسلوبي يعتمد الفن اللغوي قاعدة جوهرية في هذا البناء)) [٨٢] يتخذ منها الأديب وسيلة يعبر من خلالها عن أفكاره ومعانيه وأسلوبه الفني فهي ذلك المركب العجيب الذي يحسن الأديب المقتدر فيه على ((انتقاء عناصره اللفظية المناسبة من حيث إيقاعها الموسيقي ودلالتها الإيحائية وصهرها في بتوقة مشاعره ووجدانه وإعادة صياغة تركيبها وتنسيقها وفق ذبذبات عواطفه وأحاسيسه)) [٨٣].

فالصورة تؤدي دورا أساسيا في عملية إبداع النص الذي يصاغ صياغة فنية, ولها من الأسس الجمالية الشيء الكثير لما تحمله من خيال وعاطفة، لذلك كانت لها مكانتها المتفردة بين عناصر الأدب فهي تعد ركنا أساسيا من أركان بنائه الشعري وواحدة من أهم ميزاته.

فلما كان للصورة دورها الأساس في بناء النص, يعبر من خلالها المبدع عن عواطفه وأفكاره وحالته النفسية وتجاربه الذاتية بكل وضوح لابد لنا من التعرف على بعض مظاهر التصوير الفني في عهد الإمام علي (عليه السلام) للتعرف على كل ما يمت للصورة الشعرية عنده بصلة وسنتناول بعض الأنماط التي تشكل منها المستوى التصويري لنتعرف على القيم الجمالية والفنية في النص.

١ ـ التشبيه :

يعد التشبيه لوناً من ألوان التعبير الأدبي، فللتشبيه روعة وجمال ، وموقع حسن في البلاغة فهو بداية الألوان البلاغية ذات الصبغة الفنية ، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب ، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبها جمالا وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا ، فهو من ((أشرف كلام العرب ، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم))[٨٤]. اذ يعرف بأنه ((عقد مقابله بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر بأداة: لغرض يقصده المتكلم))[٨٥].

وسر جمال الصورة التشبيه يكمن في نقل ((المعنى الذهني الى هيأة أو حركة تجسمها الحالة النفسية الشعورية في لوحة أو مشهد)) [٨٦]. لهذا كان له مكانة مهمة في عهد الإمام علي (ع) لمالك بن الاشتر وذلك في قوله: ((وأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ)).إذ شبه نظرة الناس إلى عمله مثل نظره إلى الولاة الذين كانوا قبله ، وأيضا قوله: ((فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ الله مِنْ عَفْوِهِ)). إذ شبه إعطاءه العفو وصفح للناس كمثل الذي تحب أن يعطيه الله من عفوه وصفحه

وأيضا قوله: ((ومن يكن كذلك فهو رهين هلاك في الدنيا والآخرة)). هنا يشبه بقاءهم على ذلك الطريق بالرهين الهالك في الدنيا والآخرة. وهذا من التشبيه البليغ الذي حذفت فيه الأداة وحذف وجه الشبه, والغرض منه المبالغة والتأكيد في تقريب المشبه من المشبه به من جميع لجهات وفي هذا تشديد على الوعيد وتأكيد سوء العاقبة

في المثالين السابقين جاء التشبيه باستعمال أداة التشبيه (مثل), التي تجسد أعلى درجات التشابه بين المشبه والمشبه به. ونعتقد أن الإمام (ع) أراد أن يوضح من خلال هذا التشبيه, لمالك بن الاشتر(رض) خاصة ـ وللولاة عامة ـ الصورة الأمثل لما يجب أن يكون عليها الحاكم. واستنباط هذه الصورة من خلال نفسه, وبذلك يكون تأثيرها اشد وقعاً وأكثر جلاءً . وبإخفائه وجه الشبه يترك الكلام للقارئ مساحة واسعة من التأمل , ليستبطن الصورة التي كان ينظر إليها إلى الولاة والتي كان يتمناها فيهم ويتأملها ليكمل تحقيقها هو في رعيته.

ومن التشبيهات في عهد الأمام (ع) قوله: ((فإن هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار, يعمل فيه بالهوى)) وقوله أيضا: ((واجعل نفسك جنة)) وهما من التشبيه البليغ.

٢ –الاستعارة :

تعرف الاستعارة بأنها ((استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعني المنقول منه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينه صارفه عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا؛ ولكنها ابلغ منه))[٨٧].

فهي تتمتع بخصائص فنية لأنها ((تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ... فانك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبنية والمعاني الخفية بادية جليلة ... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من جنايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطفت الأوضاع الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون)) [٨٨].

وتمتاز الاستعارة بوقع جميل بالكتابة لأنها تكسب الكلام قوة ومتانة وتكسوه جمالا ورونقا ومن ثم تثار الأهواء والإحساسات لدى القارئ.

ولهذا اللون البلاغي حضور متميز في عهد الإمام علي (ع) ، فقد وظف هذا الون التعبيري الأدبي بإيحاءاته ودلالاته المتعددة لأجل خدمة المعنى لما له من اثر بليغ وأهمية كبيرة في إيثار التأمل لدى القارئ وإطلاق ملكات التخيل لديه[٨٩]. ومن ذلك قوله: ((فَامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ)).

فالاستعارة هنا في قوله املك هواك. حيث شبه الهوى بالدابة التي يملك زمامها ويقودها صاحبها إلى حيث شاء ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله (املك) أي التملك . وجاء ذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارة قوله (ع) : ((امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ)). فقد استعار (حمية) لـ (الأنف) واستعار (سوْرة) لـ(حدتك) و (سطوة) لـ (يدك) و (الحد) لـ (لسانك).

وان الغرض من ذلك هو لشد النفس البشرية لكلامه لأنه اشد وقعا في نفس المقابل أو السامع ولكونه كلام داعي الى التحليق في سماء الخيال ومن ثم فمنزلتها في البلاغة أعلى.

مثالها أيضاً في قوله : (وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات فان النفس إمارة بالسوء)). فقد استعار (ع) كلمة (يكسر) لنفس البشرية، وهي لفطة ذات اثر قوي في إذن البشرية لذلك استعارها الإمام لغرض جلب الأذهان إليه من جانب ومن جانب آخر إحداث التأثير المباشر بالمتلقي أو السامع . ومن ثم يكون لها وقعها في النفس البشرية بشكل يدعو الإنسان الى تغير نفسه نحو الأفضل ، نحو ما يرغب به الباري ورسوله وأهل بيته بشكل يؤمن له السعادة بالدنيا والآخرة بعيدا عن مصائد الشيطان .

وأمثلة الاستعارة في عهد الإمام (ع) كثيرة منها قوله (واجعل الرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم)) وقوله (ع): ((وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور)). وغيرها من الأمثلة.

٣ ـ الكناية :

نلحظ من عهد الإمام علي (ع) لمالك انه لم يقف عند حدود التشبيه والاستعارة لا داء صورة ، بل كان بوسيلة أخرى تشاركهما في الأهمية إلا وهي (الكناية) .

إذ تعد الكناية وسيلة من وسائل التصوير ، وتعرف بأنها ((لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعني الأصلي لعدم وجود قرينه مانعة من إرادته)) [٩٠].

فهي تسهم في رسم الصورة وتعمل على ((تغليف المعنى بستر جميل وغلاف لطيف ، فإذا برز بعد ذلك عزيزا مقبولا يروق السمع ويؤنس الوجدان)) [٩١].

ومن خواص هذا الفن هو أنها تمكنك من أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلا من دون أن تخدش وجه الأدب وهذا النوع يسمى بالتعريض, لهذا لا يمكن أن يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته.

ومثاله بالعهد قوله (ع): ((فانه قد تكفل بنصر من نصره انه قوي عزيز)) كناية عن تمام قدرة الباري عز وجل ، ومنه أيضا قوله: ((فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال فخور)) نجد فيه كناية عن تمام قدرة الله تعالى.

وأيضا قوله : ((ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ)) فيه كناية عن الظلم والتسلط والجور .

إذ إن غرض الإمام علي (ع) من استخدام الصورة الكنائية في عهده للتعبير عن المعاني وتحقيق أغراضها، محاولا إخفاء المعنى المباشر والصريح والعدول عنه الى المعنى المخفي ، وهذا مما يستثير المتلقي ويبعث الشوق في نفسه بعد إعمال البحث والتأمل ثم إدراك المعنى المراد ، فيظل أثره باقيا في السامع باعث المتعة الفنية من ورائه .

ثالثاً: المستوى الصوتي: ويتضمن:

١-الجناس :

هو احد الوسائل التعبيرية الصوتية (الإيقاعية) وهو عبارة عن تشابه لفظتين في النطق، واختلافهما في المعنى مما يعمل على تحقيق موسيقى متجانسة ((يظهر أثره في وحدة الجرس)) [٩٢].

إن هذا التشابه بين اللفظتين في النطق يجعل القارئ يخيل اليه إن معناهما واحد في حين إن معناهما مختلف اشد الاختلاف ذلك أن قيمة هذه الوسيلة تبرز في الإيهام. ففائدة تتجلى في ((شحذ النفس وتحريكها نحو تخيل صورة المعنى المقصود)) [٩٣].

وقد كان للجناس حضورا ملفتاً للنظر في عهد الإمام علي(ع) لمالك الاشتر(رض) ومنه قوله (ع): ((وأطلق عن الناس عقد كل حقد)) فقد جانس الإمام (ع) بين لفظتي (عقد) والتي تعني حبس أو إحكام. ولفظة (حقد) التي تعني الغضب الثابت في القلب وهو من نوع الجناس الناقص(غير التام) للاختلاف الحرف الأول بينهما. وهذا التجنيس يحقق تناغما موسيقيا في النص, ويسهم في إيضاح المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي .

ونجد اسلوب الجناس أيضا في قوله (عليه السلام): ((فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ وإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ)) فقد جانس بين لفظتي (أعوان) و (إخوان) وهو جناس غير تام، فان القارئ أو السامع يخيل اليه أن اللفظتين تحمل نفس المعنى

ولكن هنا برز دور الجناس في إيهام المقابل (السامع أو القارئ) في حين أن لكل لفظة معنى خاص بها عن الأخرى وهي أن معنى (أعوان) هو مساعد أو خادم، (إخوان) هي جماعة مؤلفة اجتمعت في ظلم وشر.

ومنه أيضا قوله (ع): ((وفي فيء الله لِكُلِّ سَعَةٌ ولِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ)). فالجناس وقع بين لفظتي (في) و (فيء) الأول حرف جر له معاني عديدة (الظرفية والمصاحبة والتعليل والمقايسة والاستعلاء وتأتي مرادفة للياء أو إلى) أما (فيء) فتعني الظل.

ومن أمثلة الجناس الأخرى قوله (عليه السلام) ((يفرط فيهم الزلل وتعرض منهم العلل)) وقوله(عليه السلام): ((اخف عليك مؤونة. وأحسن لك معونة)) وهما من نوع الجناس غير التام كما هو واضح.

نستنتج مما سبق إن الجناس في العهد الإمام (ع) قد أسبغ عليه قيمة صوتية، حققت الغايتين الإفهامية والجمالية ومن ثم يعمل على شد ذهن المتلقي، وجعله يشارك في التوصيل الى المعاني المراد من خلال السياق، ومن ثم يحمل المقابل على العيش في جو متناغم من التأمل للكلام. ومعنى ذلك أن الإمام كان اهتمامه بالمعانى بالمرتبة الأولى ولذلك وظّف إليه الجانب الصوتي.

٢. التكرار :

يسهم التكرار إلى جانب الجناس في تحقيق إيقاع صوتي في عهد الإمام علي (ع) لمالك. ويعرف التكرار بأنه ((دلالة للفظ على المعنى مردداً)) [٩٤]، وللتكرار أثر نفسي كبير يؤدي إلى تحريك شعور المخاطب وذهنه وجذبه إلى ما يكرر, لان غايته الإفهام والتفهيم وبيان الحاجة إلى ترديد الكلام لأكثر من مرة وهو ما عناه أبن منظور في قوله بأن الكر الرجوع إلى الشيء[٩٥].

إن التكرار ((يعد عاملاً مهماً في التدليل على معنى، زيادة على ما هو متعلق بالتركيب الجملي الذي يعد هو الأخر فعالاً في توجيه المعنى توجيهاً يتوخاه النص و يسعى إليه)) [٩٦].

وقد تنوع التكرار في عهد الإمام علي(ع) لأجل المعنى إذ ورد التكرار في ثلاثة مستويات مثّلت التركيب اللغوي فكان هناك تكرار في الحرف واللفظة والجملة .

أ ـ تكرار الحرف: وهو أن يعمد صاحب النص إلى ((تكرار حروف بأعيانها فيعمد تكرارها بإيراد كلمات تشترك في هذه الحروف)) [٩٧].

و من ذلك ما ورد في قوله (ع): ((عليك بالعدل في حكمك إذا انتهت الأمور إليك)) فنلاحظ تأكيد الإمام على صوت (الكاف) إذ أن تكراره أعطى لعهده نغماً خاصاً به لكونه صوتاً انفجارياً شديداً فكان ملائماً للموقف الكلامي الذي جاء فيه الإمام (ع) .

ومثله قوله (ع) : ((وأَنَا أَسْأَلُ الله بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ)) .

فالملاحظ على هذا النص تكرار صوت الهاء سبع مرات لما يمتاز به هذا الصوت من نغم خاص يتلاءم والمعنى المقصود من النص إلا وهو التنزيه والتعظيم. لذلك ((يوحي الصوت المنطوق من هذه الحروف بصورة المعنى المقصود)) [٩٨].

فالملاحظ على تكرار الصوت في العهد أن الإمام علي (ع) يركز على أصوات من دون غيرها وذلك للتركيز على الفكرة نفسها التي يريد الإمام توصيلها الى المقابل .

ب ـ تكرار اللفظة (الكلمة) : لاشك في أن تكرار الإمام علي (ع) للفظة معينة في كلامه لم يأت بشكل اعتباطي وإنما جاء لغايات دلالية معينة فضلاً عن أن تكرارها بالكلام يضفي عليه نغماً موسيقياً متميزاً[٩٩].

ومثاله ما ورد في قوله(ع):((ولْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لله دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً فَأَعْطِ الله مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ ونَهَارِكَ فأن الله جعل النافلة لنبيه خاصة دون خلقه فقال: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً، فذلك أمر أختص الله به نبيه و أكرمه به ليس لأحد سواه ، وهو لمن سواه تطوع (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ) فأنه يقول: ووَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى الله مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ ولا مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ)). نلاحظ أن الإمام كرر لفظ الجلالة (الله) سبع مرات إذ إن تكرار الإمام لفظ الجلالة تعظيماً له و استلذاذاً بذكره وما لهذا التكرار من أثر نفسي يحمل المقابل على العيش في حالة تأملية بعظمة الباري وفضله سبحانه وتعالى. فضلاً لما لهذا التكرار من تقوية جرس المعنى المكرر لنغمة النص وسهولة وصول الفكرة .

ج ـ تكرار الجملة: كما انه ورد في عهد الإمام علي (ع) نوع أخر من التكرار إلى جانب النوعين السابقين إلا و هو تكرار الجملة، الذي يعرف بأن له ((أثر عظيم في إحداث إيقاع صوتي يتوافق مع الغرض من الخطاب))[١٠٠]. و منه ما ورد في قوله (ع) : ((و تفقد ما يصلح أهل الخراج .... ثم تفقد ما غاب عنك من حالاتهم ...)) حيث نجد فيه تكرار جملة الفعلية (تفقد) مرتين، و لا يخفى ما لهذا التكرار للجملة الفعلية عما حققه من إيقاع صوتي ساعد في رسم صورة وتوضيحها. و منه أيضاً قوله : ((و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ... و ليكن أبعد رعيتك منك واشنأهم عندك ...)) .

نلاحظ في هذا النص تكراره لجملة (ليكن) مرتين ليناسب أسلوب التنمية والنصح والإرشاد فضلاً عما تحققه هذه الجمل من إيقاع يقرع الأسماع من خلال تكرار النصح أو ردع عن هذه الإعمال التي لا تليق بالإنسان فنلاحظ من خلال ذلك, إن التكرار في عهد الإمام قد شكل وسيلة صوتية مؤدية وظيفتين مهمتين هما: الوظيفية الافهامية وهي الوظيفة الأساسية التي ركز الإمام عليها و بسط فكرته من خلالها، ثم ما لبث إلى أن وشح عهده بفيض وفير من الإيقاع الصوتي، وبذلك تتجسد براعة الإمام علي (ع) و دقته في اختيار ألفاظه المنسوجة صوتياً مع مضمون النص محققاً الانسجام النغمي في تقوية المعنى[١٠١].

٣- السجع

يعد واحداً من الوسائل الصوتية أو الإيقاعية يعمل على أبراز المعاني بصورة جمالية، وهو عبارة عن ((توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر وأفضله ما تساوت فقره)) [١٠٢].

فالسجع خاص بالنثر مثلما القوافي خاصة بالشعر، و بذلك يعد السجع ((صورة نغمية يراد جعل الكلام بصيغة متوافقة)) [١٠٣]. مع الأخذ بنظر الاعتبار ان من شروط حسن السجع اختلاف قرينة في المعنى[١٠٤]. وبهذا يدخل السجع إلى جانب الجناس والتكرار في عهد الإمام علي لمالك الاشتر في تكوين نغمة موسيقية أو إيقاعية

الذي يضفي سمة جمالية للمعنى الذي يؤدي الى ترسيخه في ذهن المتلقي . وسنحاول في بحثنا تسليط الضوء على ابرز أنواع السجع شيوعاً في العهد وهي (السجع المطرّف، المتوازي، المُرصّع).

أ- **السجع المطرّف** : يعرف هذا النوع من السجع بأنه السجع الذي اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في التقفية، وبهذا التعريف غاب جانب الوزن ومن أجل هذا سمي المطرف أي مزين الطرف. وهذا حدٌ غير صحيح لأن الحسن في الفاصلة ليس لفظياً فحسب بل هي تجمع إلى ذلك الحسن المعنوي؛ لأنّها طريقٌ إلى إفهام المعاني التي تحتاج إليها في تحسين الصورة .

و مثال في العهد قوله(ع): ((ولا يتعرض لسخطه، ولا يصر على معصيته))، فالسجع واضح في (سخطه) و (معصيته). و كذلك قوله: ((و إياك ومساماته في عظمته أو التشبه به في جبروته)) فالسجع واضح في (عظمته) و (جبروته) . وأيضاً واضح في (حصون الرعية) و (زين الولاة) و (عز الدين) و (سبيل الأمن والخفض)

فالمتأمل لهذه النصوص يلاحظ و يدرك أثر الموسيقي واضحاً في أثراء المعنى ورفع قيمته لأنه لم يفرض على النص وإنما المعنى هو الذي استدعاه وطلبه فضلاً عن حسن التوزيع الذي جعل قرائنه متساوية.

ب - السجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه الفقرتان (فاصلة) في الوزن والتقفية وسمي الموازي لتوازي فواصله بالفاصلة الأخيرة . إذ إن هذا النوع من السجع ((يتطلب مهارة في الانتماء وتتفننا في التراكيب)) [١٠٥]. ومثال في العهد قوله: ((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ)).

فالسجع المتوازي واضح في قوله (الرحمة) و (المحبة). و قوله : ((ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ)). و ذلك واضحاً في (مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ) و (مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ) وقوله ((فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ ورَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وأَمْناً لِبِلادِكَ)). وذلك واضحاً في (جنودك) و (همومك) و (بلادك).

فقارئ هذه النصوص يتوصل إلى إيقاع صوتي متولد من توازن الفواصل في نهاية المقاطع إذ تترك هذه الكلمات أثراً ((لا يتحدد في إثارة حاسة السجع وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان)) [١٠٦]. ومن ثم يبقى جرسها يرن في أذن السامع، فيجعل تأثيرها في النفس أعمق ومدة بقائها أطول .

ج ـ السجع المرَصَّع :

و هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثر في الوزن والتقفية، وهو أكثر الأنواع بلاغة لائتلاف النغم وسريانه على كل أجزائه ولا يقدر عليه إلا الأفذاذ من كتاب [١٠٧]. ومثاله في العهد قوله: ((جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا واسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وعِمَارَةَ بِلادِهَا)) فهو واضح في: جباية خراجها . ومجاهدة عدوها, واستصلاح أهلها, وعمارة بلادها. ومثاله أيضاً قوله: ((أَنْصِفِ الله وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ)).

ونجده في : أنصف الناس من نفسك, ومن خاصتك, ومن أهلك. ومن لك فيه هوى من رعيتك.

وقوله أيضاً: ((ثم أسبغ عليهم في العملات ووسع عليهم في الأرزاق)) فالسجع المرصع واضح في: أسبغ عليهم في العملات , ووسع عليهم في الأرزاق. فبملاحظة النصوص أعلاه تكتشف حقيقة توظيف الإمام علي (ع) للسجع المرصع مما جعل النصوص تكتسب موسيقى جمالية رنانة.

نتائج البحث:

قد كنا في الصفحات السابقة نرفل بعبق خميلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) محاولين في ذلك تفحص عهده لمالك بن الاشتر لنقف على أبرز مميزاته، ومن تفحصنا خرجنا بثمرات طيبات، توزعت على مباحث هذه الدارسة ، وهنا لا بد من إجمال ما تم في هذه الدراسة من أجل رسم صورة متكاملة لموضوعها.

يتوجه الإمام علي (ع) في عهده إلى إفهام المقابل، فالفهم أولى درجات الهداية، وهو الأساس الذي بني عليه العدل، بوصفه سمة خص الله سبحانه وتعالى بها أهل البيت النبي (صلى الله عليه و اله و سلم)، فكان توجه الإمام لإفهام المقابل حقيقة الوضع القائم في المجتمع، وإيضاح أسبابه، وما أصاب المجتمع من انحراف، وماساده من مزج بين الحق بالباطل، وما ترتب على ذلك من آثار ونتائج تتصل تارة وتفترق تارة أخرى وتتشابك مرة ثالثة .

يتوجه الإمام علي (ع) عهده الى الكيان الإنساني بشكل عام، لأنه يخاطب العقل والعاطفة وعندما يتجه هذا الاتجاه فلا بد له من ترك الأثر في الذات الإنسانية وتحقيق لأهدافه، لذا كان لغايتي الجمال المتمثلتين في المنفعة واللذة حضورهما البين في عهده الإمام علي (ع) من دون تفريط بأي منهما .

وظّفَ الإمام علي (ع) اللغة توظيفاً رائعاً ودقيقاً فكانت أداة طيعة تستجيب له أنى شاء سواء على مستوى التركيب أم الصورة أم الصوت من أجل خلق الحالة المثلى من التأثير في المقابل بكل أشكاله وانتماءاته.

ومن ذلك أيضاً ما ظهر للدراسة من ارتباط الصوت بالمعنى ارتباطاً وثيقاً إذ لا ينفصل عنه، لأنه لم يكون مقصوداً لذاته بل كان وسيلة لإبراز المعاني والإغراض بما يسهم في إيقاع الأثر المناسب في النفس الإنسانية، مما يشعر بأن النص هو الذي اقتضى الصوت والإيقاع واستدعاهما ولم يكونا دخيلين عليه .

إن عهد الإمام علي (ع) لم يكن عهداً موجها إلى مال بن الأشتر (رض) فقط بل كان عهداً لكل الولاة والحكام المسلمين الذين يحاولون تحقيق الرقي لبلادهم والازدهار لشعوبهم.

وأخر دعواتي أن الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

المصادر و المراجع :

- القران الكريم
- أدب الإمام الحسين (ع): قضاياه الفنية والمعنوية (رسالة ماجستير): موسى خابط عبود، كلية التربية ، جامعة بابل ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. ، د. فتح الله سليمان ، الدار الفنية للتوزيع والنشر،١٩٩٠م.
- الأعلام : خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ) ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٥، ١٩٨٠ م .
- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرادق: تحقيق حسن حميد السند، ط١ ، ١٤٢٤ هـ)
- الإمام علي من الولادة حتى الشهادة (ولادته، مناقبه، فضائله، أخلاقه، شجاعته) ، من تراث العلاقة الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب البحار، أعداد: محسن عقيل، مطبعة دار الحجة البيضاء، ط١, ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- البداية والنهاية: أبن الأثير، تحقيق: أبو ملحم و رفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- تأريخ الأدب العربي: ريجيس بلاشير، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦ م .
- تأريخ الرسل و الملوك : تأريخ الطبري : لابي جعفر ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر، د . ت .
- تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة بن الحراني, قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي ، ط٧، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ م.
- تمام نهج البلاغة ، مما اختاره السيد الشريف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) تحقيق و تتميم و تنسيق : السيد صادق الموسوي ، قام بتوثيق الكتاب : الشيخ محمد عسّاف ، راجعه وصحح نصوصه ، الدكتور فريد السيد ، الجزء السابع ، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ط١، تأريخ الطبع : شهر رمضان المبارك / ١٤٢٦ هـ .
- جرس الألفاظ و دلالتها في البحث البلاغي والنقدي: ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨٠م.
- جمالية الخطاب القرآني – دارسة في صورة الآخر (أطروحة دكتوراه) : حسين عبيد شّراد الشمري ، كلية الآداب، جامعة القادسية ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
- الجهاد والحرب في نهج البلاغة: الشيخ خليل رزاق، ط١، دار الولاء للطباعة والنشر، والتوزيع، ٢٠٠١م – ١٤٢٢هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع : أحمد الهاشمي ، منشورات اسماعيليان ، الطبعة الخامسة
- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه و مستوياته – دراسة تحليلية (أطروحة دكتوراه) : عبد الرضا أعوج العمري ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ ، نيسان ٢٠٠٨ م .

- الخطاب في نهج البلاغة – دراسة موضوعية فنية (رسالة ماجستير) : إيمان عبد الحسن علي ، كلية التربية، جامعة بابل ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .
- دروس سياسية في نهج البلاغة : الشيخ محمد تقي رهبر ، المترجم : عبد الكريم محمود الناشر : معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، المطبعة : شبهر ، طهران ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، شرح : د . علي مهدي زيتون ، دار الجيل ، بيروت .
- رجال الشيخ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ) ، ط١, النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٠ هـ / ٢٠٠٥ م .
- رؤى الحياة في نهج البلاغة : حسن الصفار ، الطبعة الخامسة ، العراق النجف الأشرف ، ٢٠٠٥ م .
- سيرة الإمام علي بن أبي طالب: نجاح الطائي ،، دار الهدى لإحياء التراث, بيروت – لندن، المجلد (٥,٦,٧), ط٢, ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤.
- الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطبع، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م.
- الصورة السمعية و دلالتها البلاغية في القران الكريم (أطروحة دكتوراه) : عباس حميد السامرائي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- الصورة الشعرية د. مجيد عبد الحميد ناجي ، مجلة الاقلام عدد ٨ ، سنة ١٩٨٤ .
- طبقات ابن سعد. محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ) ، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م
- طبقات المعتزلة: ابن المرتضى، تحقيق ديقلر وفلز، دار مكتبة الحياة بيروت. علي ميزان الحق: محمد كوزل الآمدي، الناشر: مركز الطباعة للنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ط٢, مطبعة ليلى ١٤٢٨هـ .
- الكامل في التاريخ: لابي الحسن عز الدين علي ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠ هـ) ، ١٣ مجلداً ، بيروت ، دار صادر و دار بيروت ، ١٣٨٥ هـ ، ١٩٥٦ م.
- لسان العرب : للإمام العلامة ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، دار أحياء التراث العربي – بيروت ، نسق و علق عليه ووضع فهارسه : علي شيري ، المجلد التاسع ، طبعة جديدة محققة ، ط١ , ١٣٠٨ ـ ١٩٨٨ م .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: د: أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، دار النهضة مصر للطبع ، الفجالة ، القاهرة ، د . ت .
- مروج الذهب : للمسعودي ، تحقيق شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، د.ت.

- مستقبل الشعر وقضايا نقدية ، د. عناد غزوان – دار الشؤون الثقافية العامة ط١ – ١٩٩٤
- معجم البلدان : ياقوت الحمودي (ت ٦٢٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩.
- معجم الفروق في المعاني: د. محمد فريد عبد الله، دار المواسم للطباعة و النشر و التوزيع ، د.ت .
- من تأريخ النحو: سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، د.ت .
- نظام العلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة: الشيخ خليل رزاق، ط١، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م – ١٤٢٢ هـ .
- نهج البلاغة: المختار من كلام أمير المؤمنين لجامعة الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦م)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.
- وقعة خيبر: محمد الخطيب ، دار القارئ ، بيروت ، د. ت .

الهوامش

[1] رؤية الحياة في نهج البلاغة :حسن الصفار:٣٠ .
[2] يس : ٦٠
ينظر : معجم الفروق في المعاني : محمد فريد عبد الله : ٢٦٠ .
[3] النحل : ٩١.
[4] ينظر: لسان العرب : ٤٤٨/٩ .
[5] ينظر : معجم الفروق في المعاني : محمد فريد عبد الله : ٢٦٠ .
[6] ينظر ، تاريخ الطبري : أبو محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : ٧٢/٤ .
[7]. الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي: ١٢/٣؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا:١٤٣/١؛ تاريخ الخلفاء، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تحقيق: إبراهيم صالح : ١٩٨.
[8] ينظر : الأعلام :خير الدين الزركلي:٤ /٢٩٥ .
[9] تاريخ الأدب العربي : الدكتور رجيس بلاشير : ٣١٠/١ .
[10] مروج الذهب : المسعودي ، تحقيق شارل بلات ، ٩٣/٣ .
[11] خصائص الأئمة . الشريف الرضى: ، ص٣٩؛ الأصفهاني: مقاتل، ص٢٠؛ الحاكم النيسابورى: المستدرك، ج٣، ص١١٢.
[12] المفيد: الإرشاد، ج١، ص٣٣.
[13] الخوارزمي: المناقب، ص٨٣؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٥، ص٢٦.
[14] الخوارزمي: المناقب، ص٨٢.
[15] ينظر : ديوان الإمام علي بن أبي طالب . د.علي مهدي زيتون :١٦ .
[16] طبقات المعتزلة : ابن المرتضى ، تحقيق : ديفلد وفلزر : ٩.
[17] المزي: تهذيب الكمال، ج٥، ص٢٥٨.
[18] شرح نهج البلاغة : ٦/١ .
[19] المصدر السابق : ٧/١ .
[20] من تاريخ النحو : سعيد الأفغاني : ٢٧ .
[21] شرح نهج البلاغة : ١ / ٧ .
[22] وقعة خيبر : محمد الخطيب : ١١٧ .
[23] المائدة :٦٧ .
[24] ديوان الإمام علي بن أبي طالب : ٢٥ .
[25] المصدر السابق :٣٠ .
[26] المصدر السابق :٣١ .
[27] الإمام علي من الودلاة حتى الشهادة : محسن عقيل : ٦٤٣ – ٦٧٠ .
[28] الإعلام : ٢٥٩/٥ .
[29] الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق ، اختصره وحققه : حسن حميد السنيد : ٦٠١ .
[30] سيرة الإمام علي بن أبي طالب : نجاح الطائي : ٧٢/٦ .
[31] ينظر ، سيرة الإمام علي : ١٠٠/٦.
[32] رجال الشيخ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): ٥٨ .
[33] الإمام علي صوت العدالة الإنسانية . : ٦٠١ .
[34] القلزم : مدينة تقع على شفير البحر ليس بها زرع ولاماء ، يحمل اليها الماء من آبار بعيدة ، وتقع ما بين الحجاز ومصر على ثلاثة ايام منها .
[35] شرح نهج البلاغة : ٢٩/٢ .
[36] المصدر السابق :٢ /٢٩ .
[37] تاريخ الطبري : ٩٥/٥ .
[38] الكامل في التاريخ: لأبي الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ) :٤١٠/٢ .
[39] تحف العقول عن آل الرسول : الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحّراني ، علق عليه : الشيخ حسين الاعلمي : ٩٠ – ١٠٤ . وستكون كافة النصوص المقتبسة من العهد من هذه النسخة. لذلك سنستغني عن تخريج النصوص المقتبسة منه
[40] دروس سياسية من نهج البلاغة : لشيخ محمد تقي زهير : ٤٤ .
[41] ينظر : نظام العلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة : لشيخ خليل رزق : ٤٠ .
[42] ينظر : تمام نهج البلاغة مما اختاره الشريف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : السيد صادق الموسوي ، ٤٤٠ .

[٤٣] ينظر : دروس سياسية من نهج البلاغة :
[٤٤] المصدر السابق:١٤٩.
[٤٥] تمام نهج البلاغة :٤٤٣.
[٤٦] دروس سياسية من نهج البلاغة : ١٩٤.
[٤٧] ينظر : تمام نهج البلاغة :٤٤٤.
[٤٨] ينظر : دروس سياسية من نهج البلاغة : ١٦٨ .
[٤٩] الشورى/٣٨.
[٥٠] آل عمران/١٥٩.
[٥١] ينظر: تمام نهج البلاغة :٤٤٥.
[٥٢] دروس سياسية من نهج البلاغة : ١٢٩ – ١٣٠ .
[٥٣] المصدر السابق : ١٤٠ .
[٥٤] ينظر : دروس سياسية من نهج البلاغة : ١٥٥ .
[٥٥] النساء/٥٩.
[٥٦] النساء/٨٣.
[٥٧] تمام نهج البلاغة : ٤٠٩ .
[٥٨] دروس سياسية من نهج البلاغة : ١٢٤.
[٥٩] المصدر السابق:٢٠٢ ــ ٢٠٣.
[٦٠] تمام نهج البلاغة : ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
[٦١] الإسراء :٧٩ .
[٦٢] البقرة :١٥٨ .
[٦٣] ينظر: دروس سياسية من نهج البلاغة :١٥٢ .
[٦٤] ينظر : المصدر السابق : ١٥١
[٦٥] معجم المصطلحات البلاغية. احمد مطلوب:٢/٥٥.
[٦٦] المثل السائر, أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير : ١ / ١٧٥
[٦٧] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية : إيمان عبد الحسن علي : ٧٣ .
[٦٨] الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٢٠٥.
[٦٩] ينظر : الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ٨٠ .
[٧٠] الإسراء :٣٣ .
[٧١] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية:٧٧ .
[٧٢] المصدر السابق : ٨٥ .
[٧٣] جواهر البلاغة: ٧٩ .
[٧٤] المصدر السابق: ٧٩ .
[٧٥] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ٨٧.
[٧٦] جمالية الخطاب القرآني : حسين عبيد شرّاد الشمري: ١٥٦.
[٧٧] جواهر البلاغة : ٨٣ .
[٧٨] ينظر المصدر السابق ٨٣ .
[٧٩] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ٩٧ .
[٨٠] جواهر البلاغة : ١٠٥.
[٨١] النساء :٥٩.
[٨٢] مستقبل الشعر وقضايا نقدية ، د. عناد غزوان – دار الشؤون الثقافية العامة ط١ – ١٩٩٤ ص ١١٦ .
[٨٣] الصورة الشعرية د. مجيد عبد الحميد ناجي ، مجلة الأقلام عدد ٨ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٧ .
[٨٤] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية :١١٨.
[٨٥] جواهر البلاغة ، ص٢٥٥ .
[٨٦] أدب الإمام الحسين (عليه السلام) : قضاياه الفنية والمعنوية : موسى خابط عبود : ٢٣٦ .
[٨٧] جواهر البلاغة ، ص٣١٦ .
[٨٨] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ١٢٤.
[٨٩] ينظر: المصدر السابق :١٢٥ .
[٩٠] جواهر البلاغة : ٣٥٧

[٩١] الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق : حنفي محمد شرف : ٤٢٤ .
[٩٢] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية : ١٣٦ .
[٩٣] المصدر السابق :١٣٦ .
[٩٤] المثل السائر في الأدب الكاتب و الشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبابة : ٣/٣ .
[٩٥] ينظر: لسان العرب مادة (كرر) .
[٩٦] الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه و مستوياته – دراسة تحليلية ، أطروحة تقدم بها عبد الحسين عبد الرضا اعوج ، ج ٢٥٣.
[٩٧] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ١٣٩.
[٩٨] الصورة السمعية و دلالاتها البلاغية في القران الكريم (أطروحة دكتوراه) : عباس عبد الحميد السامرائي : ٢١٣.
[٩٩] ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: ١٤٢.
[١٠٠] المصدر السابق : ١٣٧.
[١٠١] المصدر السابق : ١٣٧.
[١٠٢] جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع : ٤١٧.
[١٠٣] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية : ١٤٨.
[١٠٤] المصدر السابق: ١٤٨.
[١٠٥] المصدر السابق: ١٣٧.
[١٠٦] المصدر السابق: ١٣٧.جرس الألفاظ و دلالاتها في البحث البلاغي و النقدي : ماهر مهدي الهلالي :٧٣
[١٠٧] جواهر البلاغة : ٤١٨.